

مجلة تنكارية

عدد: 219 Issue No:

شهر أيلول 2025 September



المسيح

Φ Ω Σ



نور

ΧΡΙΣΤΟΥ



جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619, Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

دير كوثولوموسيو العامر للروم الأرثوذكس
جبل آثوس

ΙΕΡΑ ΜΟΝΗ
ΚΟΥΤΛΟΥΜΟΥΣΙΟΥ

عيد التجلي هو عيد الدير المركزي في ٦ آب شرقي، ١٩ آب غربي



رسالة صاحب الغبطة بطريرك

المدينة المقدسة كيرىوس

كيرىوس ثيوفيلوس الثالث.

بمناسبة عيد ميلاد

والدة الإله الكلية القداسة

الدائمة البعلية مريم

— ١٠ أيلول شرقي، الموافق ٢٣ أيلول غربي لعام ٢٠٢٤ —

وَيُكَدُّ الْقُدِّيسُ يُوْحَنَّا الدَّمَشَقِيُّ فِي تَسْبِيحِهِ، مُسْتَنِدًّا إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ إِشْعْيَاءَ، قَائِلًا: «أَفْرَحِي أَتْنَهَا الْعَاقِرُ (حَنَّةُ) الَّتِي لَا تَلِدُ، وَاهْتِفِي بِالْفَرْحِ وَالْبَهْجَةِ يَا مَنْ لَمْ تَعْرِفِ أَوْجَاعَ الْوِلَادَةِ» (إِشْعْيَاءَ ٥٤: ١).

وَأَفْرَحِ يَا يُوَاكِيمُ، لِأَنَّهُ مِنْ أَبْنَتِكَ: «قَدْ وُلِدَ لَنَا وَلَدٌ، وَأُعْطِيَ لَنَا ابْنٌ، وَيُدْعَى اسْمُهُ: رَسُولُ الرَّأْيِ الْعَظِيمِ» لِحَلَاصِ الْعَالَمِ، وَهُوَ: «مُشِيرٌ عَجِيبٌ، إِلَهٌ قَدِيرٌ» (مَقْتَبَسَةٌ مِنْ إِشْعْيَاءَ ٩: ٦).

إِنَّ «رَسُولَ الرَّأْيِ الْعَظِيمِ» هُوَ بِالْفِعْلِ ابْنُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، رُبُّنَا وَمُخَلِّصُنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي عَرَفْنَا، نَحْنُ الْبَشَرُ، بِإِزَادَةِ آلَابِ اللَّهِ، الْمَكْتُوبَةِ مُنْذُ الدَّهْورِ، كَمَا يَقُولُ الْقُدِّيسُ بَاسِيلْيُوسُ الْكَبِيرُ.

وَأَنَّ رَسُولَ الرَّأْيِ الْعَظِيمِ هُوَ الْمَسِيحُ، الَّذِي أَقْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجْلِنَا، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى خَشَبَةٍ» (غَلَاطِيَّةَ ٣: ١٣)، كَمَا يُبَشِّرُ الرَّسُولُ بُولُسُ.

وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْمَسِيحَ قَدْ عَانَى مَوْتَ الصَّلِيبِ، أَيْ مَوْتَ اللَّعْنَةِ، كَمَا يَفْسِّرُ الْقُدِّيسُ أَنْتَايُوسُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ، إِذْ يَقُولُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ صَارَ لَعْنَةً، لِأَنَّهُ قَبْلَ الْمَوْتِ، الَّذِي هُوَ نَتِيجَةُ اللَّعْنَةِ الَّتِي حَمَلَهَا الْجَنْسُ الْبَشَرِيُّ مُنْذُ الْيَوْمِ الَّذِي نُفِيَ فِيهِ مِنَ الْفِرْدَوْسِ.

وَبِكَلَامٍ آخَرَ: إِنَّ الْمَسِيحَ اشْتَرَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، وَأَظْهَرَنَا مَالِكِينَ الْبَرَكَةِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ، أَيْ رُوحَهُ هُوَ.

لَقَدْ صَارَ الْمَسِيحُ مُنْتَصِرًا عَلَى مَوْتِ الْفَسَادِ بِقِيَامَتِهِ، وَحَطَمَ قُوَّةَ إِبْلِيسَ، أَيْ مَوْتَ الْخَطِيئَةِ، وَمَنْحَنَا الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ. فَإِنَّ الْمَسِيحَ، كَمَا يَقُولُ الْإِنْجِيلِيُّ لُوقَا فِي سِفْرِ أَعْمَالِ الرُّسُلِ، هُوَ: «الَّذِي أَقَامَهُ اللَّهُ، نَاقِضًا أَوْجَاعَ الْمَوْتِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمَكِّنًا أَنْ يُمْسِكَ مِنْهُ» (أَعْمَالُ ٢: ٢٤).

وَلِهَذَا السَّبَبِ، فَإِنَّ الْقُدِّيسَ يُوْحَنَّا الدَّمَشَقِيَّ يَهْتِفُ مَادِحًا وَقَائِلًا: يَا ابْنَةَ النَّسْلِ الْأَرْضِيِّ، فِي الْحَقِيقَةِ أَنْتِ أَثْمَنُ مِنْ كُلِّ الْخَلِيقَةِ، لِأَنَّهُ مِنْكَ وَخَدِكَ، قَدْ أَقْتَبَلَ اللَّهُ نَصِيبَ بَوَاكِرِ مَادَّنَا الْإِنْسَانِيَّةِ.

«لَقَدْ تَمَّتْ نُبُوءَةُ النَّبِيِّ الْهَاتِفِ قَائِلًا: سَأَقِيمُ خِباءَ دَاوُدَ الشَّرِيفِ بَعْدَ تَقْوِيضِهِ. وَقَدْ تَمَّ رَسْمُهُ فِيكَ يَا طَاهِرَةٌ، يَا مَنْ كُلُّ تُرَابِ جَبَلَةِ الْبَشَرِ قَدْ أُعِيدَ بِهَا جَبَلَتُهُ جَسَدًا لِلَّهِ.» هَذَا مَا يَهْتِفُ بِهِ مُرْتَمِّمُ الْكَنِيسَةِ.

أيها الإخوة المحبوبون في المسيح ،

أيها المسيحيون الأتقياء.

إِنَّ نِعْمَةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ الَّتِي ظَلَلْتُ يَنْبُوعَ الْحَيَاةِ، وَالِدَةِ الْإِلَهِ الْفَتَاةِ مَرَّتَ، قَدْ جَمَعْتُنَا الْيَوْمَ فِي هَذِهِ الْكَنِيسَةِ الَّتِي تَحْمِلُ اسْمَهَا، لِكَيْ نَعِيدَ لِمِيلَادِهَا مِنْ وَالِدَتِهَا الْبَارِتِينَ يُوَاكِيمَ وَحَنَّةَ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى لِنُشَارِكَ فِي الْفَرْحِ الْعَامِّ الَّذِي يَشْمَلُ الْمَلَائِكَةَ وَالْبَشَرَ.

إِنَّ مِيلَادَ وَالِدَةِ الْإِلَهِ يُشَكِّلُ بَشَارَةً لِمَوَاعِيدِ اللَّهِ الَّتِي أَعْلَنَهَا لِلْأَنْبِيَاءِ، وَهُوَ بِذَاتِهِ يُبَشِّرُ سِرَّ التَّنْذِيرِ الْإِلَهِيِّ، الَّذِي سَبَقَ وَتَكَلَّمَ عَنْهُ دَاوُدُ النَّبِيُّ قَائِلًا: «اللَّهُ مَلِكُنَا عَمِلَ الْخَلَاصَ فِي وَسْطِ الْأَرْضِ» (مزمور ٧٣: ٧٤).

٧٣: ٧٤: [١٢: حسب السبعينية).

أَمَّا الرَّسُولُ بُولُسُ، فَيَشْكُرُ اللَّهَ لِأَنَّهُ: «أُعْطِيَتْ لِي هَذِهِ النِّعْمَةُ، لِكَيْ أُبَشِّرَ بَيْنَ الْأُمَمِ بِغِنَى الْمَسِيحِ الَّذِي لَا يُسْتَقْصَى، وَأُبَيِّرَ الْجَمِيعَ فِي مَا هُوَ شَرِكَةُ السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدَّهْورِ فِي اللَّهِ خَالِقِ الْجَمِيعِ بِيسوعِ الْمَسِيحِ» (أَفَسَسَ ٣: ٨-٩).

إِنَّ الْبَشَرَى بِغِنَى الْمَسِيحِ الَّذِي لَا يُسْتَقْصَى، وَأَهَمِّيَّةِ الْإِسْتِنَارَةِ بِسِرِّ التَّنْذِيرِ الْإِلَهِيِّ، يُؤَكِّدَانِ بوضوح ما يُرَدِّدُهُ مُرْتَمِّمُ الْكَنِيسَةِ هَاتِفًا: «مِيلَادُكْ يَا وَالِدَةَ الْإِلَهِ بَشَرًا وَأَنْذِرَ بِالْفَرْحِ كُلَّ الْمَسْكُونَةِ لِأَنَّ مِنْكَ أَشْرَقَ شَمْسُ الْعَدْلِ الْمَسِيحِ إِلَيْنَا، حُلَّ اللَّعْنَةِ وَوَهَبَ الْبَرَكَةَ وَأَبْطَلَ الْمَوْتَ وَأَعْطَانَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً.»

حَقًّا، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّاءُ، إِنَّ مِيلَادَ وَالِدَةِ الْإِلَهِ قَدْ بَشَّرَ وَأَنْذَرَ بِالْفَرْحِ لِكُلِّ الْمَسْكُونَةِ، لِأَنَّهُ، وَفَقًا لِلنَّبِيِّ إِشْعْيَاءِ الْعَظِيمِ الصَّوْتِ، قَدْ قِيلَ: «هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا، وَيَدْعَوْنَ اسْمَهُ عِمَّا نُوِيلَ، الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اللَّهُ مَعَنَا» (متى ١: ٢٣؛ إِشْعْيَاءَ ٧: ١٤).

بِكَلَامِ الْحِكْمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمُفْنِعِ، بَلْ يُزْهَانِ الرُّوحَ وَالْقُوَّةَ، لِكَيْ لَا يَكُونَ إِيْمَانُكُمْ بِحِكْمَةِ النَّاسِ بَلْ بِقُوَّةِ اللَّهِ» (١ كور ٢: ٤-٥).

*إِنَّ هَذَا الرُّوحَ الْقُدُسَ، وَقُوَّةَ الْإِيْمَانِ الْإِلَهِيَّةِ، هُمَا الَّذَانِ جَعَلَا الْعُذْرَاءَ مَرْيَمَ وَالِدَةَ الْإِلَهِ، مُبَارَكَةً وَمُطَوَّبَةً إِلَى كُلِّ الْأَجْيَالِ، كَمَا يَهْتَفُ الْقُدُّيسُ يُوْحَنَّا الدَّمَشْقِيُّ: «أَفْرَحِي، يَا مَنْ أَنْتِ وَحْدَكَ أُمٌّ لِلْإِلَهِ، وَالْأَسْمُ الْوَحِيدُ الْجَمِيلُ وَالْمَحْبُوبُ جَدًّا فِي الْإِيْمَانِ الْمَسِيحِيِّ!»

وَلِذَلِكَ، فَمَعَ الْمُرْتَمِّمُ نَهْتَفُ وَنَقُولُ: «هَذَا هُوَ يَوْمُ الرَّبِّ، فَتَهَلَّلُوا يَا شُعُوبُ! فَهَذَا إِنَّ الْعُذْرَاءَ، حِذْرُ النُّورِ، وَسِرُّ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ، قَدْ بَرَعَتْ مِنْ الْخَشَا، مَوْلُودَةً. وَهِيَ الْبَابُ الْمُتَّجِهُ نَحْوَ الشَّرْقِ، فَتَنْتَظِرُ دُخُولَ الْكَاهِنِ الْأَعْظَمِ، فَإِنَّهَا وَحْدَهَا قَدْ أَدْخَلَتِ الْمَسِيحَ وَحْدَهُ إِلَى الْمُسْكُونَةِ، لِخَلَّاصِ نَفُوسِنَا!»



مَعَ أَدْعِيَتِنَا وَبَرَكَاتِنَا الْأَبُويَّةِ
البطريك ثيوفيلوس الثالث
بطريك المدينة المقدسة اورشليم

فَجَسَدُهُ قَدْ صُنِعَ مِنْ جَسَدِكَ، وَدَمُهُ مِنْ دَمِكَ، وَلَقَدْ اعْتَدَى اللَّهُ بِلَبْنِكَ، وَشَفَتَاكَ قَدْ لَامَسَتْ شَفَتِي اللَّهِ! إِنَّهَا لَعَجَائِبُ لَا تُعْقَلُ وَلَا تُوصَفُ! فَإِلَهُ الْكَوْنِ قَدْ وَجَدَكَ مُسْتَحَقَّةً لِمَحَبَّتِهِ، فَأَحَبَّكَ؛ وَإِذْ كَانَ يُحِبُّكَ، قَدْ سَبَقَ فَاتَّخَذَكَ، وَدَعَاكَ إِلَى الْوُجُودِ فِي الزَّمَنِ الْآخِرِ، وَأَنْشَأَكَ أُمًّا، لِتَلِدِي الْإِلَهِ، وَتُعْذِي ابْنَهُ الْخَاصَّ، وَكَلِمَتَهُ.

وَتَجَدُّرُ الْإِشَارَةِ إِلَى حِطَابِ الْمَدِيحِ الَّذِي أَلْفَاهُ الْقُدُّيسُ يُوْحَنَّا الدَّمَشْقِيُّ، الَّذِي تُظْهَرُ فِيهِ الْفَائِقَةُ الْقُدَّاسَةُ بِأَنَّهَا حَظِيرَةُ خِرَافٍ قَدِيمَةٍ لِأَيُّهَا يُوَاكِيمَ، وَالَّتِي أَصْبَحَتْ الْيَوْمَ كَنِيسَةً تُشَبِّهُ السَّمَاءَ، الْقَطِيعَ الْعَقْلَانِيَّ لِلْمَسِيحِ.

إِنَّ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَعَزَّاءُ، تُثَبِّتُ وَبِكُلِّ وُضُوحٍ أَنَّ كَنِيسَتَنَا الْمُقَدَّسَةَ لَيْسَتْ مُؤَسَّسَةً دِينِيَّةً عَامَّةً، بَلْ هِيَ جَسَدُ الْمَسِيحِ، الَّذِي رَأْسُهُ هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ، رَبُّنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الْمُتَجَسَّدُ مِنْ دِمَاءِ النَّقِيَّةِ، الْعُذْرَاءِ الطَّاهِرَةِ، كَمَا يُكَرِّرُ الرَّسُولُ بُولُسُ: «وَأَيَّاهُ جَعَلَهُ اللَّهُ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ» (أَفَسُس ١: ٢٢-٢٣).

إِنَّ كِرَاةَ وَتَعْلِيمِ الرَّسُولِ بُولُسَ لَمْ تَسْتَنْدِ أَوْ تَرْتَكِزْ عَلَى أَقْوَالِ الْحِكْمَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَالْإِخْتِرَاعَاتِ الدَّهْنِيَّةِ، بَلْ عَلَى بُرْهَانٍ وَفَعَلَ الرُّوحُ الْقُدُسُ، كَمَا يَشْهَدُ الرَّسُولُ بُولُسُ بِنَفْسِهِ قَائِلًا: «وَكَلَامِي وَكَرَارَتِي لَمْ يَكُونَا

تفسير لاهوتي للعبارة: «سأقيم خباء داود الشريف بعد تقويضه»

المسيح الإلهي.

في هذا السياق يقول أحد مرثمي الكنيسة: «وَقَدْ تَمَّ رَسْمُهُ فِيكَ يَا طَاهِرَةً، يَا مَنْ كُلُّ تَرَابِ جِبَلَةِ الْبَشَرِ قَدْ أُعِيدَ بِهَا جِبَلَتُهُ جَسَدًا لِلَّهِ.»

هذا الإعلان يُلَخِّصُ إِيْمَانَ الْكَنِيسَةِ أَنَّ الْعُذْرَاءَ مَرْيَمَ هِيَ الْمَكَانُ الَّذِي فِيهِ أَعَادَ اللَّهُ خَلْقَ الْإِنْسَانِ، فَجَبَلَ لَهُ جَسَدًا جَدِيدًا مِنْ دَمِهَا الطَّاهِرِ، لِيَصِيرَ بِهِ إِنْسَانًا، وَيَفْتَدِيَ الْخَلِيقَةَ السَّاقِطَةَ.

ثالثًا: لماذا كان لا بد من إقامة الخباء الجديد؟

لَقَدْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ إِسْرَائِيلَ «شَعْبَهُ الْمُخْتَارَ» أَدَاءً لِظَهَارِ الْحَقِّ الْإِلَهِيِّ فِي الْعَالَمِ. لَكِنَّهُمْ، بَدَلًا مِنْ أَنْ يَكُونُوا شُهَدَاءَ لِلْحَقِّ، رَفَضُوا الْأَنْبِيَاءَ وَقَتْلُوهُمْ، كَمَا قَالَ الرَّبُّ يَسُوعُ: «يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا...» (متى ٢٣: ٣٧). ثُمَّ، حِينَ أَتَى الْمَلِكُ الْحَقِيقِيُّ، أَنْكَرُوهُ وَقَالُوا: «لَيْسَ لَنَا مَلِكٌ إِلَّا قَيْصَرُ!» (يوحنا ١٩: ١٥). وَهَذَا مَا كَانَ قَدْ تَنَبَّأَ بِهِ يَعْقُوبُ أَبُو الْآبَاءِ عَنْ زَمَنِ الْمَجِيءِ الْمَسِيحِيَّ، إِذْ قَالَ: «لَا يَزُولُ صَوْلَجَانُ مِنْ يَهُودَا، وَمُسْتَرَجٌّ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيَ شَيْلُونُ، وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ» (تك ٤٩: ١٠).

لَقَدْ تَقَوَّضَ الْخَبَاءُ الْقَدِيمُ، لَا لِأَنَّ اللَّهَ أَبْطَلَهُ، بَلْ لِأَنَّ الْبَشَرِيَّةَ عَجَزَتْ عَنْ حَمْلِ الرِّسَالَةِ، وَسَقَطَتْ فِي النَامُوسِيَّةِ وَالتَّجْدِيفِ. وَهَكَذَا، إِذْ وَصَلَتْ الْبَشَرِيَّةُ إِلَى طَرِيقِ مَسَدُودٍ، مِنَ الْوُثْنِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ، وَالرَّفْضِ الْيَهُودِيِّ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، تَدَخَّلَ اللَّهُ بِنَفْسِهِ، لَا لِيُخَلِّصَ، بَلْ لِيُخَلِّصَ، فَصَارَ إِنْسَانًا، وَابْتَدَأَ سِرَّ التَّجْدِيدِ الْإِلَهِيِّ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.

«سأقيم خباء داود الشريف بعد تقويضه»: نظرة آباءية إلى التدبير الإلهي في والدة الإله، «فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أُقِيمُ مِظْلَةً دَاوُدَ السَّاقِطَةَ، وَأُخَصِّصُ شُقُوقَهَا، وَأُقِيمُ رَدْمَهَا، وَأُنْبِئُهَا كَأَيَّامِ الدَّهْرِ» (عاموس ٩: ١١).

هَذِهِ الْكَلِمَاتُ النَّبَوِيَّةُ الَّتِي سَمِعَ صَدَاهَا فِي الْكَنِيسَةِ الْأُولَى، لَيْسَتْ مَجْرَدُ إِشَارَةٍ إِلَى هَيْكَلٍ مَادِّيٍّ أَوْ نِظَامٍ أَرْضِيِّ، بَلْ إِلَى تَحْقِيقِ الْوَعْدِ الْإِلَهِيِّ فِي مَلَأِ الزَّمَانِ، عِنْدَمَا يُعَادُ بِنَاءُ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ اللَّهِ وَالْإِنْسَانِ مِنْ خِلَالِ سِرِّ التَّجَسُّدِ.

أولًا: المعنى الرمزي لـ «خباء داود»

«الخباء» هُوَ الْمِظْلَةُ الَّتِي أَعَدَّهَا الْمَلِكُ دَاوُدَ لِيُقِيمَ فِيهَا تَابُوتَ الْعَهْدِ، أَيْ رَمَزَ حُضُورِ اللَّهِ مَعَ شَعْبِهِ، كَمَا يُشِيرُ الْاسْمُ النَّبَوِيُّ «عِمَّاَنُؤِيلَ (اللَّهُ مَعَنَا)» وَمَا تَقَوَّضَ هَذَا الْخَبَاءُ بِسَبَبِ خَطَايَا الشَّعْبِ وَرَفْضِهِمْ لَوْصَايَا اللَّهِ، لَمْ يَعُدَّ الشَّعْبُ يَحْمِلُ الْحُضُورَ الْإِلَهِيَّ، بَلْ صَارَ مَظْهَرًا بَلَا جَوْهَرٍ. وَمَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّ وَعْدَ اللَّهِ بِإِقَامَةِ الْخَبَاءِ مِنْ جَدِيدٍ لَا يُشِيرُ إِلَى تَرْمِيمِ خَارِجِيٍّ، بَلْ إِلَى بِنَاءِ جَدِيدٍ يَفُوقُ مَا سَبَقَ: إِلَى «مَسْكَنٍ جَدِيدٍ» يَسْكُنُهُ اللَّهُ بِنَفْسِهِ، لَيْسَ مِنْ خَشَبٍ أَوْ قِمَاشٍ، بَلْ مِنْ جَسَدٍ بَشَرِيٍّ طَاهِرٍ وَبَتُولِيٍّ.

ثانيًا: تفسير الكنيسة الآبائي

الآبَاءُ الْقَدِّيسُونَ رَأَوْا فِي وَالِدَةِ الْإِلَهِ مَرْيَمَ الْخَبَاءَ الْجَدِيدِ، الَّذِي أَقَامَهُ اللَّهُ فِي مَلَأِ الزَّمَانِ، إِذْ حَلَّ فِيهَا الْكَلِمَةُ الْإِلَهِيَّةُ، وَتَجَسَّدَ مِنْهَا بِدُونِ زَرْعٍ بَشَرٍ. رَحْمَتَا الْبَتُولِيِّ هُوَ الْمَسْكَنُ الْجَدِيدُ، الَّذِي تَمَّ فِيهِ «رَسْمُ» جَسَدِ



<https://www.pemptousia.gr/2024/09/to-thav-ma-apo-tin-agia-chari-tou-timou-ke-zoopiou-stavrou-tou-christou/>

ترجم
من موقع

النعمة الإلهية، صانعة العجائب، في صليب المسيح الكريم والمُحيي

لم تكن هذه صلاة مجردة، بل ابتهاًلاً حقيقياً من الشعب لله كي يمنح ملوكه الانتصار على أعداء الإيمان. كان الإمبراطور يُعدّ «خادماً لله» و«مدافعاً عن الإيمان الأرثوذكسي» - لذا دُعي الشعب للصلاة من أجله في الليتورجيا.

ج) «البرابرة» «فارفارون» (βαρβάρων- barbaron)

لم تكن الكلمة شتيمة، بل تعني ببساطة: «الذين لا يتكلمون اللغة الرومية (اليونانية)»، أي الشعوب غير المتحضرة بحسب الرؤية الهلينية - وغالباً وثنية أو غير مسيحية. أمثلة: الغزاة الفرس، القوط، البلغار، العرب المسلمون لاحقاً... إلخ. لذلك كانت هذه صلاة دفاعية - حماية للكنيسة والشعب من هؤلاء «البرابرة».

ملحوظة: كلمة «المؤمنين» ليست في النص اليوناني الأصلي، لكن أُضيفت في بعض الترجمات لتجنّب ذكر الأباطرة الهرطقة، وللتأكيد أنّ الصلاة موجهة فقط من أجل الملوك المستقيمين في الإيمان القويم.

ثانياً: المعنى اللاهوتي للسجد للصليب والميراث الإلهي:

(لصليب ايها المسيح نسجد، ولقيامتك المقدسة نسبح ونمجد).

الصليب في هذه الترتيبة ليس رمزاً فقط، بل هو وسيلة خلاص وقوة انتصار. يُطلَبُ من الله أن يمنح الشعب (المُكرّس له) بركته، أي أنّ الشعب هو كليرونومية (κληρονομία) أي «الميراث المُكرّس لله» (تثنية ٩: ٣٢)، لا مجرد جماعة بشرية. ويُطلَبُ أيضاً أن يحفظ المؤمنين بفضل الصليب. أي أنّ جماعة المؤمنين تُعتبر ميراثاً لله، بحسب تفسير كليرونومية (κληρονομία) الكنسي.

هذا يُظهر أن الكنيسة ترى في الصليب:

† أداة حماية. † ووسيلة خلاص. † وقوة نُصرة ضد الشرّ والأعداء، إن وُجدوا روحياً أو زمنياً.

طروبارية الصليب صرخة إيمان أرثوذكسي في وجه الممحو والتدويب

ملحوظة نقدية نصية: لوحظ في بعض الترجمات الحديثة أو غير الدقيقة لطروبارية الصليب استبدال ألفاظ أصيلة بأخرى دخيلة، مما يؤدي إلى تغيير في المعنى اللاهوتي والتاريخي للنص. فقد حُذفت عبارة «الملوك» واستُبدلت بعبارة «عبيدك»، كما أُلغيت كلمة «ميراثك» واستُعِض عنها بكلمة «الشرير». وهذه التعديلات تُفقد النص بُعدَه الأصلي الذي يجمع بين الطلب الروحي والتباعد التاريخي للإمبراطوري، كما ورد في النص الرومي التقليدي: «خَلِّصْ، يا ربّ، شعبك وبارك ميراثك، وامنح ملوكنا الغلبة على البربر، واحفظ بقوة صليبك جميع المؤمنين بك.»

إنّ طروبارية «خَلِّصْ، يا ربّ، شعبك...» هي من أقدم التراتيل المرتبطة بالصليب الكريم المُحيي، وتحديدًا بعيد رفع الصليب، وتحمل معنى لاهوتي وسياسياً - تاريخياً في آنٍ واحد.

أولاً: المعنى التاريخي للطروبارية

أ) القرينة التاريخية: الإمبراطورية الرومية (البيزنطية)

هذا النشيد كُتب في زمن كانت فيه الكنيسة والإمبراطورية الرومية (البيزنطية) متحدّتين في الرؤية والتقوى. كانت الحروب بين الرّوم المسيحيين والقبائل الوثنية (خصوصاً الجرمان، السلاف، الهون، البلغار، الفرس، لاحقاً العرب...) قائمة بشراسة.

من هنا جاءت عبارة: نيكاس تيس فاسيليفسي كاتا فارفارون

«νίκας τοῖς βασιλεῦσι κατὰ βαρβάρων»

= امنح الملوك (ملوكنا، ملوك الروم) الغلبة على البرابرة.

ب) «الملوك» (تيس فاسيليفسي) (τοῖς βασιλεῦσι)

المقصود بهم ملوك الرّوم (الإمبراطورية المسيحية البيزنطية).

«ما أهميّة التمسك بالنص الأصلي اليوم؟»

لأنها تحمل بُعداً تاريخياً حياً: إذ كانت الكنيسة تُصلي حقاً من أجل الملك والشعب في وجه الأخطار المحدقة. كما يُجسّد وعي الكنيسة بأن الحروب ليست مجرد صراعات جسدية، بل هي أيضاً معارك روحية عميقة. وأخيراً، لأن العبارة ترتبط بمناسبة ليتورجية محدّدة: **عيد رفع الصليب الكريم المحيي (١٤ أيلول)** – حيث تم الانتصار على الوثنيّة بقوة الصليب غير الموصوفة.

هناك شواهد تاريخية كنسيّة تؤكّد أنّ **عيد رفع الصليب الكريم المحيي في ١٤ أيلول** يرتبط فعلاً بانتصار الإمبراطوريّة المسيحيّة على الوثنية، وبخاصة **عبر الصليب**. ومن أبرز الشواهد:

١) الحدث التاريخي: رفع الصليب بعد اكتشافه (٣٢٦ م)

بحسب **المؤرخ الكنسي روفينوس والقديس أمبروسوس**: اكتشفت **القديسة هيلانة**، أم الإمبراطور قسطنطين، **الصليب الكريم** في أورشليم سنة ٣٢٦ م. وفي سنة ٣٣٥ م، تمّ رفع الصليب علناً أمام الشعب في أورشليم من قبل الأسقف مكاريوس، الذي تمّ في مناسبة تدشين كنيسة القيامة (كنيسة القبر المقدس).

حين اكتمل بناء الكنيسة، أقيم احتفال ليتورجي كبير، رفع الأسقف **مكاريوس الصليب** أمام المؤمنين، ليتمكنوا من رؤيته والسجود له، ومن هنا بدأ التقليد السنوي لـ «**عيد رفع الصليب**» في ١٤ أيلول. وارتبط هذا الحدث بعيد رسمي في الكنيسة يُحتفل به في ١٤ أيلول (ش) كل عام.

٢) ارتباطه بانتصار الإمبراطوريّة على الفرس الوثنيين (٦١٤-٦٢٨ م) في القرن السابع، استولى الفرس على أورشليم وأخذوا الصليب. لكنّ **الإمبراطور الرومي هرقل** هزمهم وأعاد الصليب عام ٦٢٨ م. دخل أورشليم حافي القدمين حاملاً الصليب، ورفع في موكب مهيب في ١٤ أيلول. هذا الحدث صار علامة لانتصار الإيمان على الوثنيّة الفارسيّة. **القديس نيكيفوروس كاليستوس** والسنكسارات الروميّة البيزنطيّة تذكر هذا الحدث في ١٤ أيلول، وتربطه بالصليب كرمز غلبة.

٣) الليتورجيا نفسها تشهد بذلك – طروبارية العيد:

«**خَلِّصْ يَا رَبُّ شَعْبَكَ، وَبَارِكْ مِيرَاثَكَ، وَامْنَحْ مُلُوكَنَا الْغَلْبَةَ عَلَى الْبَرَبَرِ، وَاحْفَظْ بِقُوَّةِ صَلِيبِكَ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ.**»

تُرتّل في سياق ملوكيّ، يحاكي انتصار الإيمان على الأعداء، ويستحضر الحدث التاريخي حين **ظهر المسيح للإمبراطور قسطنطين** وقال له: «**بهذا الصليب تغلب**». إنّ عيد رفع الصليب المحيي ١٤ أيلول يرتبط مباشرة بانتصار الإيمان المسيحي على الوثنيّة، سواء عبر **الإمبراطور قسطنطين أو الإمبراطور هيراكليوس**. والصليب فيها ليس رمزاً فقط، بل أداة فعليّة للغلبة.

هذه **الطروبارية** هي صرخة شعبيّة – كنسيّة – إمبراطوريّة، تطلب الغلبة من الله للملوك الرّوم الأرثوذكس ضدّ كل تهديد خارجيّ يهدّد سلامة الكنيسة والإيمان، وتُظهر أنّ الصليب ليس فقط للتقوى الفرديّة، بل لحماية الجماعة.

نُهيّب بآبناء الكنيسة الأرثوذكسيّة، حملة وديعة الإيمان القويم، أن يتحلّوا بالتميز الروحي، وألاً ينصاعوا وراء تغييرات لغويّة مُدْمِرة، تُلغي أو تُشوّه تاريخ كنيسيتنا، وتُفَرِّغ الطقوس الإلهيّة من معناها القويم، وتُبدّل التقاليد المقدّسة التي استودعت إلينا من الآباء القديسين العظام.

فإنّ محو المعاني التاريخيّة للطروبارية، الأصلية مثل: «**الملوك**» و«**البرابرة**»، ليس تجديداً، بل خطوة خطيرة نحو تذويب الهوية الروميّة الأرثوذكسيّة، وضرب لحضور القسطنطينيّة ودورها الإيمان الحّيّ الأصيل، المُتفرد بامتياز، في ذاكرة الكنيسة.

إنّ هذا المسار، الذي يتزيّث بثياب الحملان، وهو في حقيقته ذناب خاطفة، لا ينفصل عن الحركة المسكونية في مسعاها، إلى محو الهوية الأرثوذكسيّة، تلك التي تُخفي، تحت عباءة «الوحدة» وشعار «المحبّة الكاذبة»، محوً متدرّجاً وتدميرًا لشعلة الإيمان القويم، التي تحافظ عليها الروميّة الأرثوذكسيّة بقوة وثبات لا يلين.

الجزء الثاني: العظة عن معجزة الصليب

الطروبارية للصليب: «خَلِّصْ، يَا رَبُّ، شَعْبَكَ وَبَارِكْ مِيرَاثَكَ، وَامْنَحْ مُلُوكَنَا الْغَلْبَةَ عَلَى الْبَرَبَرِ، وَاحْفَظْ بِقُوَّةِ صَلِيبِكَ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ.»

تُرتّل في طروبارية عيد رفع الصليب الكريم والمحيي **لربنا يسوع المسيح**، الذي تحتفل به الكنيسة الأرثوذكسيّة في الرابع عشر من شهر أيلول شرقي من كل عام. وهو أحد الأعياد السيديّة في المسيحيّة، أي **المُكرّسة للسيد المسيح**. إنّ صليب الرب يسوع المسيح الكريم: «**حامي المسكونة كلّها، وجمال الكنيسة، وثبات المؤمنين.**»

منذ أن وجدت **القديسة هيلانة**، والدة الإمبراطور قسطنطين الكبير – الذي صار لاحقاً قديساً في الكنيسة الأرثوذكسيّة – **الصليب الكريم** في أورشليم، بات هذا الصليب كنزاً عظيماً لكل كنيسة مقدّسة ودير مقدّس يمتلئ جزءاً من خشبة الصليب الكريم المحيي، لتقبيله وتقديسه من قبل المسيحيين الأتقياء المؤمنين.

يروى التقليد أنّ حادثة العثور على **الصليب الكريم والمحيي لربنا يسوع المسيح** جرت على النحو التالي: في سنة ٣٢٦ م، أي بعد عامٍ واحدٍ من **المجمع المسكوني الأول**، توجهت **القديسة هيلانة** إلى أورشليم بقصد زيارة الأماكن المقدّسة، وتقديم الشكر لله القدّوس على الانتصارات الباهرة والنجاحات الجيدة التي أحرزها ابنها، **الإمبراطور قسطنطين**، أوّل إمبراطور مسيحي في التاريخ، والذي ثبتّ الإيمان المسيحيّ، وأرسى أسسه، ونشره في أقاصي المسكونة، وفي الوقت ذاته وضع حدّاً نهائياً للاضطهادات التي كان يتكبّدها المسيحيّون، وللتعذيب الوحشي الذي كانوا يتعرّضون له على يد **الأباطرة الوثنيين السابقين**.

قامت **القديسة هيلانة**، الحقة التاريخيّة الفريدة، ببناء العديد من الكنائس المسيحيّة المقدّسة، منها كنيسة في جبل الزيتون، وأخرى في مغارة بيت لحم. وبأمر من ابنها قسطنطين، كلّفت ببناء كنيسة مسيحيّة فخمة على تلة الجلجلة، في الموضع الذي **صُلب فيه الرب يسوع المسيح**. فغدت هذه الأعمال العمرانيّة المقدّسة شاهداً خالداً

في ذاكرة الكنيسة على قوّة الإيمان وتجذّره في التاريخ.

في ذلك الموضع، كان الإمبراطور أدرينانوس قد أقام معبدًا وثنيًا مكرّمًا للإلهة أفروديت، ليمنع المسيحيّين من السجود للمكان المقدّس. ولكن القديسة هيلانة، وبلا تردّد، قامت بمهدم المعبد الوثنيّ، وطهرت المكان، وحدّدت بدقّة الموضع الذي صُلب فيه ربّنا يسوع المسيح، ووجدت الصليب الكريم. وانتشرت سريعًا - كما هو متوقّع - في أرجاء المسكونة، البشري بأنّ الصليب الكريم والمُحيي لمُخلّصنا يسوع المسيح قد تمّ العثور عليه. فأقبل الجميع ليسجدوا للخشبة الكريمة وينالوا البركة.

عندما اكتمل بناء كنيسة القيامة المُكرّسة لقيامة المسيح، على يد القديسة هيلانة التي عهدت إليها هذه المهمّة بتمييز خاصّ وتقوى كبيرة، في الرابع عشر من أيلول سنة ٣٢٦ م، أُقيم الاحتفال الرسميّ بافتتاح الكنيسة، بكل ما يليق من فخامة وجلال. وفي ذلك اليوم، صعد البطريك مكاريوس، بطريك أورشليم، إلى المنبر القائم في وسط الكنيسة، ورفع الصليب الكريم عاليًا، لكي يتمكن جميع الحاضرين

من رؤيته والسجود له. وبعد ذلك، راح المؤمنون المسيحيّون يسجدون للصليب الكريم، وهم يرمون علامة الصليب على ذواتهم، مردّدين: «يا ربّ ارحم». هذه هي إذًا، رفعة الصليب الكريم والمُحيي لمُخلّصنا يسوع المسيح، التي تحتفل بها الكنيسة الأرثوذكسيّة في ١٤ أيلول، رافعة الصليب في وسط الكنيسة. (كان تقويم كل الكنيسة في الشرق والغرب، شرقي، أي يولياني)

أمّا فيما يخصّ رواية رفع الصليب الكريم والمُحيي للمرّة

الثانية، فقد جرت سنة ٦١٤ م، أي بعد مرور نحو ٢٨٠ سنة، عندما استولى الفرس على مدينة أورشليم. وهناك أعاثوا خرابًا واسعًا، ونهبًا فظيعًا، وأسروا البطريك زخريا، ومعه العلبة الكبيرة الفضّيّة التي كانت القديسة هيلانة قد وضعت فيها الصليب الكريم. وبعد مرور أربع عشرة سنة، قاد الإمبراطور هيراكليوس (هرقل) حملة عسكريّة بلغ فيها عاصمة الفرس منتصرًا، بهدف تحرير البطريك، واسترجاع الصليب الكريم. وقد نجح في تحرير الأسرى المسيحيّين، والبطريك زخريا، واستعاد الصليب الكريم الذي سرقه الفرس. ثم عاد الجميع إلى القسطنطينيّة، إلى ملكة المدن، مدينة القديس قسطنطين الكبير، حاملين معهم أثمن كنز: صليب المخلّص يسوع المسيح. وبعدها توجّه هيراكليوس إلى أورشليم، خلع التاج الإمبراطوري، ودخل حافي القدمين، حاملاً بين يديه العلبة التي تحتوي على الخشبة الكريمة، وذهب بها إلى موضع الجلجلة. وهناك، مرّة أخرى، في الرابع عشر من أيلول، وفي كنيسة القيامة المقدّسة، صعد البطريك زخريا إلى المنبر، ورفع الصليب، فيما الشعب كان يرثل: «خَلِّصْ، يا ربّ، شعبك وبارك ميراثك، وامنح ملوكنا الغلبة على البربر، واحفظ بقوّة صليبك جميع المؤمنين بك.»

عند سعي القديسة هيلانة لاكتشاف الصليب الكريم، عثرت حينذاك على ثلاثة صلبان، فبرّر السؤال فورًا: أيّ منهم هو صليب ربّنا يسوع المسيح؟ وكان بالقرب من الموضع لوح الكتابة الذي وضعه بيلاطس

البنطي، مكتوب عليه: «يسوع الناصري ملك اليهود». فأخذ البطريك مكاريوس الصليب، ولمس به امرأة كانت على شفير الموت، فشفيّت فورًا، وعندها أدرك الجميع أيّ صليب هو صليب المخلّص المُحيي، وأيّ صليبيّين يعودان إلى اللصّين. لقد تحقّقت المعجزة، بفعل نعمة الصليب الكريم والمُحيي للمسيح: فمجرّد أن لمسّت تلك المرأة المريضة بخشبة الصليب، عادت إليها الصحّة، وظهر لكلّ الحاضرين أيّ صليب هو صليب الربّ. وكانت هذه المعجزة الأولى عند اكتشاف الصليب على يد القديسة هيلانة.

ثمّ تبعها معجزة ثانية في أثناء رفع الصليب الكريم والمُحيي للمسيح من قبل البطريك زخريا: فبينما كان الإمبراطور هيراكليوس يصعد حاملاً الصليب الكريم نحو موضع الجلجلة، توقّف فجأة، ولم يعد يستطيع التقدّم. فقال له البطريك زخريا أن ينزع التاج الملكيّ والحذاء، وفورًا أن فعل ذلك، تحقّقت المعجزة بفضل نعمة الصليب الكريم والمُحيي للربّ يسوع المسيح، فتمكّن هيراكليوس من السير مجدّدًا، وأكمل الطريق إلى الجلجلة.



بحسب التقليد، فقد اقتادت رائحة طيّبة القديسة هيلانة إلى المكان الذي عُثِر فيه على الصليب الكريم والمُحيي للربّ يسوع المسيح. كانت هذه الرائحة تفوح من نبتة خضراء، ذات أوراق تُشبه شكل الصليب، وهي نبتة الريحان (الباسيليكون). ولهذا السبب، وفي يوم عيد رفع الصليب الكريم، في ١٤ أيلول، يوزّع الكهنة الريحان على المؤمنين المسيحيّين، تذكيرًا بطريقة العثور على الصليب الكريم والمُحيي للربّ

يسوع المسيح.

يا مَنْ ارتفعت على الصليب طوعًا (يارادتك)، أيّها المسيح الإله، امنحَ مراحمك لشعبك الجديد الذي دُعِيَ باسمك. فَرِّحْ، بقوّةك، ملوكنا المؤمنين، وأعطيهم الغلّبات على الأعداء. ليكنّ تحالفهم معك، سلاح سلام وظفرًا لا يُقهر. (ترجمة حرفيّة من اليونانيّة)

يرتبط عيد رفع الصليب الكريم والمُحيي للربّ يسوع المسيح، كما ذكرنا سابقًا، بأحداث تاريخيّة كبرى من حقبة الإمبراطوريّة الروميّة البيزنطيّة، ولذلك فهو يحمل طابعًا احتفاليًا مهيبًا. غير أنّه، في الوقت نفسه، يُشير إلى صلب ربّنا يسوع المسيح وموته، ولهذا يُكرّم بصوم صارم، شبيه بصوم يوم الجمعة العظيمة. كما أنّ الإنجيل المقدّس الذي يُنلى في القدّاس الإلهي في هذا العيد، هو نفس الإنجيل الذي يُقرأ أيضًا في الجمعة العظيمة.

(لصليبك ايها المسيح نسجد، ولقيامتك المقدسة نسبح ونمجد).

(Τὸν Σταυρόν Σου προσκυνοῦμεν, Δέσποτα, καὶ τὴν Ἀγίαν Σου Ἀνάστασιν δοξάζομεν)

(تُونُ سَتَقْرُونُ سُو بُرُوسَكِينُومُنْ، ذِيسُوتَا، كي تِينْ آغِيَانُ سُو آنَسْتَاْسِينْ دُوكْسَارُومُنْ.)

ليكن الصليب الكريم والمُحيي لربّنا يسوع المسيح، دائمًا دليلًا ومعينًا لجميعنا!



مدخل إلى الرموز اللاهوتية في عظة القديس يوحنا الدمشقي في مولد والدة الإله: مفاتيح لفهم نصوص العظة (صفحة ٨)



نحن نعيش في عصر يُعرف بـ «عصر السرعة» - حيث تتسارع وتيرة الحياة، وتزداد الضغوط، وتضيّق المساحات المُخصّصة للتأمل، والتعمّق، والقراءة الروحية المُتأبّية. من هنا، نحتاج إلى قراءة عميقة وهادئة لهذه العظة الخالدة، عظة القديس يوحنا الدمشقي في ميلاد والدة الإله. هذه الصفحة لا تُقدّم كشرح ثَقِيل، بل كـمفتاح يُضيء لنا المفردات الرّمزيّة واللاهوتيّة التي تتكرّر في العظة، لكي يدخل القارئ إلى النصّ بروح مُهيّاة.

في بهاء لغويّ ولاهوتيّ فريد، يقف القديس يوحنا الدمشقي أمام سرّ ميلاد العذراء مريم لا كحدثٍ تاريخيٍّ فقط، بل كبدايةٍ كونيةٍ لخلاص العالم. هذه العظة التي تندفق من قلبٍ مملوء حبًّا وذهنٍ يشتعل بمعرفة الروح، هي مزيج من الشعر، واللاهوت، والتسبيح.

العذراء، بدء تجديد الخليقة: يبدأ القديس بتوجيه دعوةٍ كونية للاحتفال: «هلمّوا يا جميع الأمم... لنفرح بمولد الفرح الكوني». إذ أنّ العذراء ليست فقط شخصاً مقدّساً، بل هي نقطة الانطلاق لتجديد الإنسانية الساقطة. إن ولادتها من عاقر (القديسة حنة) ليست مجرد معجزة، بل إعلان أنّ النعمة تتقدّم على الطبيعة.

العذراء كمكان مقدّس: يوظّف الدمشقي رموز الهيكل والبوابة والغرفة والكنيسة والمدينة ليُظهر أنّ مريم هي مسكن الله الحقيقي، الناصع، الصامت، المهيأ منذ الأزل لاحتواء كلمة الله. لا تُزيّنّها أحجارٌ مادية، بل يُزيّنّها الروح القدس، وتضيء من داخلها بجمرة اللاهوت.

الثالث في بهاء التجسّد: بتسلسل شعري-لاهوتي، يُدخلنا الدمشقي في مجد الثالث: الآب الذي سرّ، والابن الذي وُلد، والروح القدس الذي ظلّ. ويشرح كيف أنّ المسيح، الوحيد الجنس من الآب، يصير أيضاً بكرًا من العذراء بين إخوة كثيرين. إنّها حركة تنازل إلهي ليرفع الطبيعة البشرية من سقوطها إلى الآب والخالق.

المخلع رمزٌ للإنسانية: حين يكتب: «بفضله، المخلع الذي لك ركض وقفز كالأيل»، لا يقصد شخصاً بعينه، بل يرى في المخلع رمزًا للبشرية كلها التي شلّت بالخطيئة، ونالت بقرب العذراء شفاء الجسد والروح.

مجد العذراء، في الجسد والروح: يرسم صورةً مدهشة لمريم في فتوّتها: الوقار، الحياة، اللباس البسيط، الكلام الهادئ، العفة والصفاء والعفاف، الطاعة للوالدين، وحفظ التواضع في أعظم الإعلانات. ويختتم بجملة خالدة: «أنت التي استحققت أن يسكن فيك الله».

تحية بؤابة الغنم (Πόλη Προβατική) (بيلي پروفاتيكي):

يُنهي القديس بعرض رمزي أخاذ لبؤابة الغنم، حيث كانت تجرى الشفاعات في العهد القديم (بركة بيت حسدا)، ليُظهر أنّ العذراء هي الآن البركة الجديدة، التي تنبع منها أنهار الشفاء والنعمة. كانت البركة

تفتح مرةً في السنة ليستحمّ فيها مريضٌ ويُشفى بماء متحرّك؛ أمّا مريم العذراء، فقلوبها مفتوحة لاستقبال الجميع، وتفيض منها نعمة لا تضطرب ولا تزول. هي الكنيسة الجديدة، وبركة النعمة الأبدية.

لماذا من عاقر؟: ولادة العذراء من عاقر (حنة) تُعدّ صورةً مُسبقة لميلاد المسيح من العذراء. كما أن رحم حنة المائت عاد ينبض بالحياة، كذلك رحم مريم بتوليّ وأصبح موضعًا للتجسّد. هذه المقارنة تبرز انتصار النعمة على حدود الطبيعة.

العذراء: الهيكل الحقيقي: بينما كان هيكل أورشليم يُقدّم الظلال، كانت العذراء مريم تُظهر وتُحقّق الحقيقة ذاتها، أي المسيح الرّب: ليست حاويةً للتأبوت، بل للرّب نفسه. لهذا قال الدمشقي أنّ العذراء لا تُزيّن بالذهب، بل بالروح القدس، ولا بالحجارة، بل بكلمة الله نفسه.

من هو ملاك المشورة العظمى؟: العبارة: (أنجيلوس تيس ميغاليس فوليس) «Ἄγγελος τῆς μεγάλης βουλῆς» (ملاك المشورة العظمى) مأخوذة من إشعياء ٩: ٦ بحسب الترجمة السبعينية، وتُشير إلى المسيح نفسه. هو المُرسَل، والمُرْسِل، والحامل للرّسالة.

كيف «ركض المخلع»؟: المخلع الذي شُفي عند بركة بيت حسدا، هو صورة الإنسان القديم، والماء المتحرّك هو صورة الناموس غير الكافي، بينما «الماء الحيّ» الذي جاء إلى العالم من خلال العذراء، بفعل الروح القدس، فقد أعاد الحركة والحياة والفرح إلى البشرية بأسرها. وهذا الماء، الذي هو فيض نعمة المعمودية، صار باب الخلاص، إذ يؤهّل الإنسان للاتحاد بالمسيح القائم، بحسب الكلمة: «من آمن واعتمد خلص» (مر ١٦: ١٦).

النعمة في الجسد: القديس يوحنا الدمشقي يرى أنّ العذراء لم تكن فقط طاهرة بالقلب، بل في الجسد أيضًا. فحتى حركاتها، لباسها، صوتها، مشيتها، كلها مملوءة نعمة، ولهذا قال: «أنت التي استحققت أن يسكن فيك الله».

في سطور: هذه العظة ليست مديحًا فقط، بل هي تعليم لاهوتيّ، وتسبيح شعريّ، وتفسير آبائي عميق لسر ميلاد العذراء. من خلالها، يُعلن الدمشقي أنّ العذراء ليست مدخل التجسّد فقط، بل أيضًا مدخل الشفاء الكوني. يربط بين رموز العهد القديم وسر الكنيسة.

المراجع الكتابية في العظة:

المولود من عاقر: تكوين ٢١، ١ صموئيل ١، لوقا ١

ملاك المشورة العظمى: إشعياء ٩: ٦ (السبعينية)

المخلع الذي قفز كالأيل: يوحنا ٥، إشعياء ٣٥: ٦

مباركة بين النساء: لوقا ١: ٤٢

جمرة اللاهوت: إشعياء ٦: ٦-٧، خروج ٣: ٢ رمز آبائي شائع

للتجسّد. إلى عظة القديس يوحنا الدمشقي: ←

عطلة للقديس يوحنا الدمشقي في ميلاد والدة الإله



ترجم من موقع <https://xfd.gr/keimena/εκκλησία/πατερικά/λόγος-του-αγίου-του-ιωάννου-δαμασκηνو/>

يا أيها الزوجان المغبوطان، **يواكيم وحنة**، إنَّ الخليقة بأسرها تُكرِّمُ لكما الامتنان، لأنَّه بواسطتكما قدَّمت الخليقة للخالق أعظم عطية بين كلِّ العطايا: الأمُّ المكرَّمة، الفريضة، الجديرة بمن خلقها. مبارك أنت يا يواكيم، لأنَّه منك خرج الزرع الطاهر الذي لا دنس فيه. ويا رحم حنة العجيب، الذي فيه تكوَّن شيئاً فشيئاً، وتشكَّل وُلد ذاك الطفل القدوس. أيتها الحشا، التي حملت في داخلِك السماء الحيَّة، الأوسع من اتَّساع السماوات نفسها! أيتها البيدر، التي احتضنت سنبلة القمح المحيية، تلك التي أعلن عنها المسيح نفسه قائلاً: «**إِنْ لَمْ تَقْعْ حَبَّةُ الحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَخَدَهَا**» (يو ١٢: ٢٣-٢٤). أيتها الثديان، اللذان أرضعتا تلك التي غدَّت مُغذِّي العالم! يا لعجب العجائب! ويا لأسرار الأسرار! إذ هكذا كان ينبغي أن يُفتتح الطريق بالمعجزات، الطريق الذي نزل فيه **الله**، مدفوعاً بالحبَّة، إلينا ليتجسَّد بطريقة لا يُعبَّر عنها.

«**كَرْمَةٌ جيِّدَةُ العُصُونِ**» نبتت من حنة، وأزهرت عنقوداً حلواً كلياً، خمرًا لِهَيْئًا، ليشربه البشر ويحيوا إلى الأبد. يواكيم وحنة زرعا «**البرِّ**»، فحصدوا «**ثمر الحياة**». استناروا بـ «**نور المعرفة**»، وطلبوا الرب، فوجدهم ثمر البرِّ. فلتتشجَّع الأرض، و«**لَتَفْرَحْ بَنَاتُ صِهْيُون بِالرَّبِّ إِهْيَكُنَّ**»، لأنَّ البرِّيَّة قد أزهرت! العاقر أثمرت! يواكيم وحنة، مثل قِمم الجبال السريَّة، أفاضوا حلاوة. ابتهجي، أيتها المباركة حنة، لأنَّك وُلدت فتاة، لأنَّ هذه الفتاة ستصير أمَّ الله، باب النور، نبع الحياة، والتي ستُريل جريمة المرأة (حواء).

وجهُ هذه الفتاة سيتوسَّله عظماء شعبه. هذه الفتاة سيسجد لها ملوك الأمم، ويقدمون لها الهدايا. هذه الفتاة ستُقاد إلى الله، إلى ملك الكلِّ، وهي مرتدية «**حُللاً مذهبة**» مُطرَّزة بفضائل، ومترنَّبة بنعمة الرُّوح، و«**مُجَدَّهَا فِي دَاخِلِهَا**». لأنَّه إن كانت كرامة المرأة هي الرجل الذي يقف إلى جانبها، فكرامة **الفائقة القداسة** تأتي من داخلها، من ثمرة أحشائها.

هلمَّوا، يا جميع الأمم، وكلَّ جيلٍ بشريٍّ، وكلَّ لسان، وكلَّ عمر، وكلَّ مقام، لنُعَدِّ معاً بتَهليلٍ روحيٍّ ونعيِّد ميلاد الفرح الكونيِّ. لأنَّه إنَّ كان الوثنيون، بأباطيلهم الشيطانيَّة الكاذبة، التي تُضللُّ الذهن وتُعتِمُّ الحقيقة، قد كانوا يُكرِّمون مواليدَ ملوكٍ طغاة، مقدَّمين ما عندهم وما ليس عندهم، فكم بالحريِّ يجب علينا أن نكرِّم **ميلاد والدة الإله**، التي أقامت الجنس البشريَّ بأسره، واستبدلت حزنَ أمِّنا الأولى حواء، بفرح؟ فهي التي سمعت دينونة الله: «**بأوجاع ستلدِين أولادَك**». هي سمعت: «**أفرحي، أيتها المُمْتَلِئَةُ نِعْمَةً**». وتلك (حواء) سمعت: «**إلى رَجُلِك** يكونُ اشتياقُك، وإليه خضوعُك». هي (العذراء) نالت السَّلام: «**الرَّبُّ مَعَك**».

فماذا تبقى لنا أن نقدِّمه كلاماً لمريم **والدة الكلمة**، إلَّا أن نُسَبِّحها؟ فلنُعَيِّد إذاً كلَّ الخليقة معنا، ولنُتمجِّد **ثمر القديسة حنة المقدَّسة**. لأنَّها أنجبت للعالم كنزاً أبدياً من الخيرات، أي: والدة الإله. وبشفاعة والدة الإله، أعاد الخالق خلقَ الخليقة من جديد نحو الأفضل، باتخاذ الطبيعة البشريَّة. لأنَّ الكلمة الخالق، باتَّحاده بالطبيعة البشريَّة، اتَّحد أيضاً بكلِّ الخليقة، لأنَّ الإنسان، إذ يشترك في الرُّوح والمادة، يُعتَبَر صلة الوصل بين الخليقة المنظورة وغير المنظورة.

ولم وُلدت والدة الإله الدائمة البتوليَّة من امرأةٍ عاقر؟ لأنَّه كان يجب أن يكون هذا الحدث، الذي هو «**الجديدُ الفريدُ تحت الشَّمْسِ**»، أساس العجائب وذروتها، وأنَّ يَشُقَّ طَرِيقُهُ بِالْعَجَائِبِ، فيأتي شيئاً فشيئاً من المتواضع إلى الأعظم. ولكن يوجد أيضاً سبب أسمى وأعمق وأكثر ألوهة. الطبيعة، وقد اخضمت **أمام النعمة**، كانت واقفة بخوف، ولم يكن لها الجرأة أو القوَّة لتتقدَّم من تلقاء نفسها. ولذلك، عندما كان مزمعاً أن تُولد والدة الإله - العذراء من حنة، لم تجرؤ الطبيعة أن تُثمر قبل النعمة، بل بقيت عاقراً حتى تُنبت النعمة الثمر. وهكذا كان ينبغي أن تولد هي بكرًا، تلك التي ستلد البكر، «**بِكُرِّ كُلِّ خَلِيقَةٍ**»، ذاك الذي به كانت كلُّ الأشياء وبه تقوم.

يا فتاة الله، المحبوبة والمباركة ثلاثاً! «مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ كُلِّهِنَّ، وَمُبَارَكٌ ثَمَرُهُ أَحْسَنُائِكَ». يا فتاة، يا ابنة الملك داود، وأُمُّ ملك الكل، الله. أَنْتِ صورة إلهية حيّة، بهجته الله الذي صَوَّرَكَ، والتي نفسك خاضعة لحُكْمِ الله، ولا تلتفتين سوى إليه وحده. كلُّ رغبتي تتجه إلى الوحيد المشتهى والمحبوب. غضبي تنسكبينه فقط على الخطيئة، وعلى ذاك الذي أنشأها (الشيطان). لقد عشت حياةً تفوق الطبيعة. ليست حياة من ذاتك، لأنك لم تُخلقي من أجل ذاتك. بل لله كنت تحيين، ومن أجله أتيت إلى الحياة، لتخدميه بأمانة في خلاص العالم، لكي يتحقق «الْقَصْدُ الْأَزَلِيُّ» لله، أي: تجسّد الكلمة وتألمها. كان شوقك أن تقتاتي بكلمات إلهية، وتغتذي من عصارتها، كـ «زَيْتُونَةٍ مُثْمِرَةٍ فِي بَيْتِ الرَّبِّ»، كشجرة مغروسة على مجاري مياه الروح، كشجرة الحياة التي أثمرت في الزمن المعين من الله، إنها مُتجسِّدًا، حياةً أبديةً لكل خليقته.

كنت تحفظين كل فكر يُغذّي النفس وينفعها، وترفضين، قبل حتى أن تجريبه، كل ما هو عديم النفع وضار لك. عينك «دَائِمًا مَرْفُوعَتَانِ إِلَى الرَّبِّ» تبصران النور الأبدي «الَّذِي لَا يُدْنِي مِنْهُ». أذنك تصغيان إلى الكلمة الإلهية وتفرحان بقيثارة الروح، لأن الكلمة مرّ من خلاهما ليتجسّد. أنفك منجذب بعطر الطيب الذي يفيض من العريس، بعطر إلهي ينسكب بحرّة ويمسح الطبيعة البشرية له. «اسْمُكَ طِيبٌ مُهِرَاقٌ»، كما تقول الكتب الإلهية. شفتاك تتحدان الرب وتبقيان لصيقتين بشفتيه. ولسانك وسقف حلقك يعرفان كيف يميّزان كلمات الله، ويشبعان من حلاوتها الإلهية. وقلبك الطاهر غير المنجّس كان يرى ويشتاق الإله غير المنظور.

يا أحشاء التي سكن فيها غيرُ المُحتوى، وبا صدرًا تغدّى منه الله، الطفل يسوع، بالحليب. يا باب الله البتولي إلى الأبد! أيتها الأيدي التي حملت الإله، والركبتان اللتان صار عليهما عرشًا أسمى من الشاروبيم! بهذه الأعضاء تثبتت «الْأَيَادِي الْمَسْلُوءَةُ وَالْأَرْجُلُ الضَّعِيفَةُ». أقدامٌ مُقادة بمصباح الناموس الإلهي، تركض بلا توقف وراءه، حتى جذبني المشتهى إلى مَنْ كانت تشتهي. إنك بكاملك غرفة عُرسية للروح، مدينة الله الحي، التي «تُفَرِّحُهَا جَدَاوِلُ التَّهَرُّ»، أي أمواج مواهب الرُّوح القدس. جميلة جدًا، ومحبوبة جدًا لدى الله، لأنك إذ تجاوزت الشاروبيم وصعدت أعلى من السيرافيم، صرت بالحقيقة المحبوبة جدًا لله.

يا لأعجوبة أعظم من كلِّ العجائب: أن تكون امرأة فوق السيرافيم! وذلك لأنَّ الله ظهر «أَدْنَى قَلِيلًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ». اصمت، أيها الحكيم سليمان، ولا تعد تقول: «لَا جَدِيدٌ تَحْتَ الشَّمْسِ». يا عذراء الممتلئة نعمة، أيتها الهيكل المقدس لله، الذي بناك الروحي سليمان، ملك السلام، واتخذك مسكنًا له. يا هيكلًا لا يترنن بذهب ولا بحجارة مينة، بل يشع بدل الذهب **بالرُّوح القدس**، ويترنن، عوضًا عن الجواهر النفيسة، **باللؤلؤة الثمينة: المسيح، حمرة اللاهوت**. تضرعني إليه أن يلمس شفاهنا، لكي نتمكن، وقد تنقينا، من أن نسبّحه مع **آبِ والرُّوح القدس**، صارخين: «قدوس، قدوس، قدوس، الربُّ الصَّابِرُونَ»، الطبيعة الإلهية الواحدة في ثلاثة أقانيم. قدوس هو الله الآب، الذي سرّ فيك، وبك، أن يُتمّم السرّ الذي سبق وحدّه قبل

الدهور. قدّوس هو القويّ، ابن الله، الإله الوحيد الجنس، الذي يُتمّم اليوم ميلادك من أمّ عاقر، لكي يولد هو، الذي هو وحيد الجنس من الآب، ويُدعى «بِكْرًا مِنْ بَيْنِ كُلِّ الْخَلِيقَةِ»، و«وَحِيدَ الْجِنْسِ مِنْكَ» أَنْتِ أيضًا، كأُمّ بتولية، و«بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ»، شبيهاً بنا، شريكاً بفضلك في «جَسَدَنَا وَدَمِنَا». ومع ذلك، لم يسمح لك أن تولدي من أب فقط أو من أم فقط، لكي يحتفظ هو لنفسه بامتياز الولادة الفريدة، هو الوحيد في كلِّ شيء، الوحيد الجنس. هو بالحقيقة الوحيد من الآب وحده، والوحيد من أمّ وحدها. قدّوس هو الأزليّ، الروح الكليّ قداسة، الذي حفظك بندي لاهوته من نار الألوهة، لأن ما كانت العليقة تُشير إليه بغموض لموسى، إنما كان هذا السرّ نفسه.

افرحي، أيتها البوّابة الغنميّة، أيتها الهيكل الأقدس لأُمّ الله!

افرحي، أيتها البوّابة الغنميّة، المسكنُ القديمُ للملكة.

ملحوظة: العذراء مريم (الملكة) باعتبارها المسكن الروحي الذي أعدّه الله منذ الأزل (القديم) ليكون مقرًا لابنه المتجسد (المتّرجم).

افرحي، أيتها البوّابة الغنميّة، التي كنت سابقًا حظيرةً لغنم يواكيم، وأصبحت الآن كنيسةً تشبه السماء، لقطيع المسيح العاقل.

يا بوّابة، التي كانت مرّةً في السنة تستقبل ملاك الله، ذاك الذي كان يُحرّك المياه ويمنح القوة لمريض واحد ويشفيه - ها أنت الآن تملكين جيوشًا من الطغمات الملائكيّة، تُمجّد معنا أُمّ الله، مَنهَلُ العجائب بلا قعر، النبع الذي يشفي جميع البشر.

أُمّ الله، التي لم تستقبل ملاكًا خادماً فقط، بل الملاك ذاته «لِلْمَشُورَةِ الْعُظْمَى»، ذاك الذي نزل بحدوء على الصوف الناعم، كما مطرُ اللطف الوفير، وأعاد طبيعتنا المريضة، الخاضعة للفساد، إلى صحّة لا تزول، وحياة لا تشيخ.

بفضله، المخلّع الذي لك، ركض وقفز كالأيل!

افرحي، أيتها البركة الشريفة عند بوابة الغنم، فلتزدّ نعمتك!

افرحي يا مريم، أيتها الابنة العذبة الحبيبة لحنّة! إليك تجذبني من جديد نأراً المحبّة المشتاقة.

كيف لي أن أصف مشيتك المملوءة حياة؟ كيف لباسك؟ كيف وجهك المشعّ نعمة؟

شيخوخة حكيمة في جسد فتى.

لباس محتشم، بلا ترفٍ أو ترهل. خطوة رزينة، لا عجولة ولا بليدة.

مهابة يرافقها إشراق رقيق، دائماً بعيدة عن الرجال.

وشهادة ذلك هو خوفك أمام حيّة الملاك غير المتوقّعة.

مطبعة، ودیعة لوالديك، تحفظين روح التواضع في أسمى الرؤى.

كلماتك مليئة باللطف، تنبع من نفس ساكنة.

وما الحاجة إلى كثير القول؟! لقد كنتِ جديدةً بأن يسكن فيك الله نفسه!

بحقّ، جميع الأجيال تطوّبك، أنت، أبهى مجدٍ في البشرية، فخر

الكهنة، رجاء المسيحيين، سند الملوك، غرسٍ خصيبٍ في بستان

البتولية، لأنّ منك امتدّت بهاء البتولية عرضًا. «مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ،

وَمُبَارَكٌ ثَمَرُهُ بِطْنِكَ!» مباركون هم الذين يعترفون بك والدّة للإله،

ويَقُون في اللعنة الذين ينكرونك.

الطَّيْبَةُ، الْعُقْرُ، وَالثَّمَرُ

يُقَدِّمُ الْقَدِيسُ يُوَحْنَا الدَّمَشَقِيُّ تَأْمُلًا لَاهُوتِيًّا فِي وِلَادَةِ الْعَذْرَاءِ مِنْ أُمِّ عَاقِرٍ (الْقَدِيسَةِ حَنَّةَ)، مُبَيِّنًا أَنَّهَا لَيْسَتْ حَادِثَةً بِيُولُوجِيَّةً عَابِرَةً، بَلْ خُطُوَّةٌ إِلَهِيَّةٌ مَقْصُودَةٌ ضِمْنَ التَّدْبِيرِ الْخَلَاصِيِّ.

(١) الْعُقْرُ (الْأَلَا-ثَمَرِيَّةُ)

يَرْمُزُ إِلَى الطَّيْبَةِ الْبَشَرِيَّةِ السَّاقِطَةِ الْعَاجِزَةِ بَعْدَ السَّقُوطِ عَنْ إِبْنَاتِ أَيْ صِلَاحٍ مِنْ ذَاتِهَا؛ فَقَرُّ الْإِنْسَانِ قَبْلَ النَّعْمَةِ.

«لَمْ تَجْزُ الطَّيْبَةُ أَنْ تُثْمِرَ قَبْلَ النَّعْمَةِ، بَلْ بَقِيَتْ عَاقِرَةً...».

أَيُّ إِنَّ الطَّيْبَةَ (الْإِنْسَانَ السَّاقِطَ) وَاقِفَةٌ عَاجِزَةٌ، لَا تُنْبِتُ الثَّمَرَ الْإِلَهِيَّ؛ أَعْنِي الْعَذْرَاءَ، مِنْ دُونِ عَمَلِ النَّعْمَةِ.

(٢) النَّعْمَةُ

هِيَ قُوَّةُ اللَّهِ الْمُجَدِّدَةُ الَّتِي تَسْبِقُ الطَّيْبَةَ وَتَفْتَحُ لَهَا الطَّرِيقَ لِتُشْفَى وَتُسْتَعَادَ. كَمَا نَزَلَتْ عَلَى حَنَّةَ فَأَثْمَرَتْ بِالْعَذْرَاءِ مَرْيَمَ، كَذَلِكَ تَعْمَلُ فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ «الْعَاقِرِ» (رُوحِيًّا) لِیُولَدَ فِيهِ الْمَسِيحُ. «حَتَّى تُنْبِتَ النَّعْمَةُ الثَّمَرَ...».

(٣) الثَّمَرُ

هُوَ شَخْصُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمَ: ثَمَرٌ مُقَدَّسٌ يُمَهِّدُ لِمَجِيءِ مُخَلِّصِ الْعَالَمِ.

وَكَمَا أَنَّ الْأَرْضَ الْجَافَّةَ لَا تُنْبِتُ إِلَّا إِذَا سَقِيَتْ، كَذَلِكَ حَنَّةُ لَمْ تُثْمِرْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ رُوِيََتْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ.

(٤) التَّرْتِيبُ الْإِلَهِيُّ

النَّعْمَةُ أَوَّلًا، ثُمَّ الطَّيْبَةُ، ثُمَّ الثَّمَرُ. النَّعْمَةُ لَا تُبْطِلُ الطَّيْبَةَ، بَلْ تُكْمِّلُهَا وَتُعِيدُ إِلَيْهَا الْحَيَاةَ لِثَمَرٍ؛ وَهَذَا هُوَ لُبُّ الْفَهْمِ الْأَرْثُودُكْسِيِّ لِلتَّجْدِيدِ وَالْوِلَادَةِ الْجَدِيدَةِ.

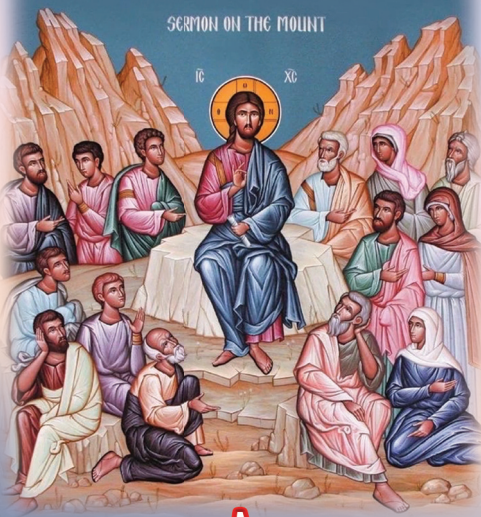
مَفَاتِيحُ رَمْزِيَّةٍ مُخْتَصَرَةٌ:

حَنَّةُ الْعَاقِرُ: الطَّيْبَةُ الْبَشَرِيَّةُ السَّاقِطَةُ.

النَّعْمَةُ: حُضُورُ اللَّهِ وَمُبَادَرَةُ الْفِدَاءِ.

الثَّمَرُ (مَرْيَمَ): وِلَادَةُ حَيَاةٍ جَدِيدَةٍ مِنْ دَاخِلِ عَجْزِ الْإِنْسَانِ، تَمْهِيدًا لِوِلَادَةِ «الْبِكْرِ» (الْمَسِيحِ) فِي الْجَسَدِ، لِیُعِيدَ آدَمَ السَّاقِطَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ ثَانِيَةً، بِتَجْدِيدِ الطَّيْبَةِ السَّاقِطَةِ بِاتِّحَادِهَا بِالْمَسِيحِ، الْإِلَهِ الَّذِي تَحْسَدُ وَصَارَ إِنْسَانًا، لِیُؤَلِّهِ الْإِنْسَانَ بِالنَّعْمَةِ.

ملحوظة: «التَّأَلُّهُ مُشَارَكَةً فِي الطَّاقَاتِ الْإِلَهِيَّةِ غَيْرِ الْمَخْلُوقَةِ (إِنْزَغِيَايَ أَكْتِسْتِي) (ἐνεργειαι ἀκτίστοι ενεργειαι ακτιστοι)، لَا فِي الْجَوْهَرِ (οὐσία | أَوْسِيَا | ousia).» الْقَدِيسُ غْرِیغُورِیُوسُ بِالْأَمَاسِ فِي **ἀκτίστοι - aktistoi** تعني «غیر مخلوقين/غیر مخلوقة» (صفة جمع).



شرح التطويبات

للقديس غريغوريوس النيسي

(٣٣٥-٣٩٤ م)



هامة القديس غريغوريوس النيسي المكرمة
دير إيشيرو - جبل آثوس

يدعو (الرَّبُّ) البشر إلى ملكوت السموات، ويفصل بين الذين على اليمين والذين على اليسار، يُعْطِي أسبابًا أُخْرَى لِمِثْلِ هَذِهِ الْكَرَامَةِ؟ لِأَنَّهُ فِي تَطْوِيبِ الْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، يَتَطَلَّبُ رَافَةً وَمَعُونَةً مُتَبَادِلَةً وَحُبًّا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ فِي أَيِّ مَكَانٍ تَكُونُ الْمَسْكَنَةُ الرُّوحِيَّةُ أَوْ الْاضْطِهَادُ مِنْ أَجْلِهِ؛ وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ تِلْكَ الْأُمُورَ الَّتِي تُعْتَبَرُ سَطَحِيَّةً تَبْدُو أَنَّهَا تَخْتَلِفُ كَثِيرًا جَدًّا بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ. لِأَنَّهُ مَا هِيَ عِلَاقَةُ الْمَسْكَنَةِ بِالْاضْطِهَادِ؟ كَمَا أَنَّ مَا هِيَ عِلَاقَةُ هَذِهِ بِأَعْمَالِ الْحُبِّ الشَّفُوقَةِ؟

إِنْ كَانَ شَخْصٌ مَا قَدْ أَطْعَمَ الْمُحْتَاجِينَ، أَوْ كَسَى الْعَرَايَا، وَاسْتَضَافَ الْغَرِيبَ تَحْتَ سَقْفِهِ، أَوْ جَلَبَ لِلْمَرْضَى وَالْمَسْجُونِينَ أَيَّةَ مَعُونَةٍ اسْتَطَاعَهَا؛ فَمَا هِيَ عِلَاقَةُ ذَلِكَ بِكَوْنِ الْإِنْسَانِ مَسْكِينًا وَمُضْطَهَدًا

† «طُوبَى لِلْمُطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ، لِأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ.» (مت ٥: ١٠) (١)

ما هي علاقة المسكنة بالروح، بالاضطهاد؟

ها هو الثواب عن الأتعاب والمُكَافَأَةُ عَنْ عَرْقِنَا الَّذِي يُعْتَبَرُ مُسْتَحَقًّا لِمَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. بِقَوْلِهِ: «مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ»، يُظْهِرُ الثَّبَاتَ الْمُطْلَقَ لِلْعَطِيَّةِ الَّتِي تُقَدَّمُ لِرَجَائِنَا. وَلَكِنْ ثَمَّةُ صَعُوبَةٍ طَرَأَتْ عَلَى ذَهْنِي بِخُصُوصِ ذَلِكَ، وَهِيَ: أَوَّلًا: بِالنِّسْبَةِ لِأَوَّلِكَ الْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، وَأَوَّلِكَ الْمُضْطَهَدِينَ مِنْ أَجْلِهِ، فَإِنَّهُ يَعِدُ بِثَوَابٍ لِيَأْتِيَ بِكُلِّ مَنْهُمْ إِلَى نَفْسِ الْهَدَفِ لِكَيْلَا التَّطَوَّبِينَ. فَإِذَا كَانَتْ مُكَافَأَتُهُمْ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ هِيَ ذَاتُهَا، فَبِالتَّأَكِيدِ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ صِرَاعَاتُهُمْ أَيْضًا مُتَسَاوِيَةً. وَثَانِيًا: فَلِمَاذَا عِنْدَمَا

بحسب تلك الآية؟ هذا الإنسان يُساعد الآخرين في مَحَنهم؛ ومن الناحية الأخرى، فإنَّ كلاً من المساكين والمُضطهَدين يحتاجون إلى معونة. ولكن الهدف واحدٌ في كلِّ حالة، لأنه يجلب إلى السماء المسكين بالروح والمُضطهَد من أجله، وأيضاً أولئك الذين يُبدون الشفقة على القريب.

فكيف، إذن، نشرح ذلك؟ كل ذلك مُتماسكٌ معاً! لأنه يتجمَّع تماماً على نفس الهدف. إنَّ المسكنة تتغيَّر بسهولة، وحب المساكين لا يزول أو يبتعد عن المسكنة ذاتها. ولكن من الأفضل أن نختبر تطويب المُضطهَدين ثم نحص معناه.

مَنْ هو الذي يَضطهَد؟ ولماذا؟

أولئك المُضطهَدين من أجل البرِّ، لماذا (يُضطهَدون)؟ وَمَنْ هو الذي يَضطهَدهم؟ إنَّ الإجابة التي تطرأ على ذهن أولاً، تُقدِّم لنا بوضوح ساحة الشهداء وحلبة سباق الإيمان. لأن الملاحقة تُبدي بوضوح، ليس فقط اهتمام العداء (الذي يركض في السباق) الرهيب بالسرعة، بل أيضاً توضحِ النصر التي تكمن في الجري. مِنْ ثَمَّ، فإنَّ كلاً من الإنسان الذي يركض لأجل مُكافأة الدعوة السماويَّة، والإنسان المُضطهَد من العدو بسبب هذه المُكافأة؛ يكون شخصاً ما خلفهما: أحدهما هو الشخص المُنافس (للذي يركض)؛ أما الآخر فهو المُضطهَد!

هؤلاء هم البشر الذين يُتممُّون جولة الاستشهاد، والذين هم مُلاحقون، ولكن لم يَمسك بهم في ساحات التقوى. ويبدو أنَّه في الكلمات الأخيرة **يُبَيِّنُ الرَّبُّ** لهم أسمى تطويبٍ كإكليل. لأنه مُباركة حقاً مُعاناة الاضطهاد **من أجل الرَّبِّ**. ولماذا؟ لأن المُطاردة من الشرِّ تصبح هي سبب البلوغ إلى الصلاح، حيث إنَّ الانفصال من الشرِّ يكون هو الفرصة للاقتراب من الصلاح الذي هو فوق كل صلاح، أي **الرَّبِّ ذاته**، الذي يركض إليه الإنسان المُضطهَد. فهو، إذن، مُباركٌ حقاً، لأنه يستخدم العدو كوسيلة للبلوغ إلى الصلاح.

مِنْ ثَمَّ، فإنَّ الوجهة المُباشرة للاضطهاد التي يُطلق الطُّغاة العنان لها ضد الشهداء، إنما هي بالتأكيد مؤلة للحواس، ولكن نتيحتنا تفوق كل تطويب. إنَّ الجميع يعلمون كم أنَّه يصعب التحمُّل إذا كان الناس، بدلاً من أن يحبونا، يُدبِّرون ضدنا المكائد. ومع ذلك، فإنه يوجد كثيرون يصير لهم ذلك الذي يبدو مؤذياً، سبباً لسعادتهم حتى في هذه الحياة.

يوسف الصِّديق كمثال:

وهذا يَظْهَر في قصة يوسف الصِّديق. فإنَّ إخوته تأمروا عليه وأبعدوه من رفقتهم، ولكن عندما باعوه أصبح **مَلِكاً** على أولئك الذين تأمروا بالشرِّ عليه. وهو ما كان يبلغ إلى تلك الكرامة العظيمة، لو لم يُهمَّد حسدهم الطريق إلى المُلك بهذه المؤامرة ذاتها. ولو كان شخصاً ما قد عرف المستقبل، لسَبَق وأخبر يوسف قائلاً: «إنك ستكون مُباركاً، لأن مؤامرة قد دُبِّرَت ضدك»، ولما بدأ ذلك، حينذاك، معقولاً لذاك الذي لا يرى إلا المحنة الحاضرة، لأنَّه ما كان يظنُّ أنه يمكن للغرض الشرير أن يبلغ إلى نهاية صالحة. هكذا أيضاً، فإنَّ اضطهاد الطُّغاة الذي يُصيب المؤمنين، يجلب ألماً شديداً محسوساً، ويجعل من الصعب على الجسدانيين أن يقبلوا الرجاء في المُلك الذي يتحقَّق بواسطة تلك الآلام.

ولكن **الرَّبِّ** يُخبر الضعفاء مُسبقاً بما ينبغي أن يكون هو هدف الصراع، حتى يتغلَّبوا بأكثر سهولة على مشاعر الألم العابر. لذلك فإنَّ **القديس استفانوس** فرح عندما رُجم من كلِّ ناحية. فقد تلقَّى جسده وابلًا من الحجارة المُتساقطة عليه مثل النَّدَى، وقد كافأ قاتليه بالبركات، مُصلِّياً بالآل تُحسب عليهم هذه الخطيئة. إنَّه سمع الوعد، ورأى الرجاء الذي يُقَابِل الأمور التي تحدث في العالم المحسوس. لأنَّه سمع أولاً أنَّ أولئك الذين يُعانون من الاضطهاد **من أجل الرَّبِّ**، سيكونون في **ملكوت السموات**. وحينئذ رأى القصد من توفُّعه في وقت الاضطهاد. فبينما كان يعدو في سباق الاعتراف بالإيمان، أظْهَرَ له ما كان يترجَّاه، وهو **السموات المفتوحة، والمجد الإلهي، أي الرَّبِّ ذاته الذي يشهد صراع شهيدته**. إنَّ الوضع الراهن لقاضي الصراع، إنما هو صورة تكشف عن المعونة التي يمنحها **(الرَّبِّ)** للمُحارب، والتي بها ينبغي أن نتعلَّم أنَّ **نفس الأَقنوم (الإلهي)** الذي يُنظِّم الصراع، هو الذي يُساعد أيضاً مُحاربيه ضد مُقاوميه. وَمَنْ هو الذي يكون مُباركاً أكثر من الإنسان المُضطهَد **من أجل الرَّبِّ؟** وَمَنْ هو الذي يكون مُميَّزاً بأن يكون القاضي ذاته مُعيَّناً له، ذاك الذي يُشرف على الصراع؟ لأنَّه في الحقيقة ليس من السهل، وربما من المستحيل، تفضيل الصلاح غير المرئي على أمور هذه الحياة المُرئية. كما أنَّه من السهل اختيار أمورٍ مثل: طُرْد الإنسان من بيته، أو الانفصال عن الزوجة والأبناء والإخوة والوالدين والأصدقاء وكل سعادة الحياة؛ إنَّ لم يُساعد **الرَّبِّ ذاته** (ذاك الإنسان) للبلوغ إلى هذا الصلاح، لأنه قد دُعِيَ حسب قصده. لأنه كما يقول الرسول (بولس): «**الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ... فَهَؤُلَاءِ دَعَاهُمْ أَيْضاً. وَالَّذِينَ دَعَاهُمْ، فَهَؤُلَاءِ بَرَّرَهُمْ أَيْضاً. وَالَّذِينَ بَرَّرَهُمْ، فَهَؤُلَاءِ بَحَّدَهُمْ أَيْضاً**» (رو ٨: ٢٩، ٣٠).

إنَّ النفس (البشرية) تكون، بطريقةٍ ما، مُتعلِّقة بأمور الحياة التي تسرُّها بواسطة الحواس الجسديَّة. فهي تبتهج بعينيها بالجمال المادي، وتميل بواسطة الأذنين إلى الأصوات المُنعَّمة، وتتأثَّر أيضاً بالرائحة والذوق واللمس، حيث تكون الطبيعة قد مالت إلى التوافق مع كلِّ منها. وهكذا تكون النفس المُتعلِّقة بأمور هذه الحياة التي تسرُّها، من الصعب أن تنصرف عنها. فقد نَمَت مع هذه المُتعلِّقات كثيراً بنفس الطريقة، كما يرتبط الصَّدَف والقواقع بغطائها الخزفي. وهكذا تكون بطيئة في حركاتها، حيث إنَّها تجرُّ أمامها حملاً مدى الحياة. وإذا تكون هذه هي حالة النفس، فإنَّ مُضطهَديها يقبضون عليها بسهولة، مع التهديد بمصادرة ممتلكاتها، أو خسارة أشياء أخرى تكون مُشتهاة في هذه الحياة. وهكذا فهي تستسلم بسهولة، وتُدْعِن لسلطان مُضطهَدها.

فاعلية كلمة الله:

ولكن عندما تكون **كلمة الله** - التي كما يقول الرسول (بولس): «**حَيَّةٌ وَفَعَالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدِّينِ، وَخَارِقَةٌ**» (عب ٤: ١٢) - مُغلغلة في الإنسان الذي نال حقاً الإيمان، فهي تقطع بالكامل الأشياء التي نَمَت معاً بطريقةٍ رديئة، وتُمزِّق قيود العادة. وحينئذ يُلقي (الإنسان) عنه المسرَّات الدنيويَّة المُرتبطة بنفسه بها، كما يُلقي العداء حملاً من على كاهله، فيركض وهو خفيفٌ ورشيَّق في حلبة السباق؛ ذلك لأنَّه لا

الإنسان الحرّ، **لأن أسمى شكل من الحرية هو أن يكون الإنسان سيّدًا على نفسه**. فدعونا، أيها الإخوة، ألا نكتب إن كنا نُحرّم من الأرضيّات، لأنه إن كان الإنسان مُتحرّرًا منها يعيش في قصور السماء. إنَّ الطبيعة العاقلة تكون قد حدّدت لحياتها عُصرين من الكون المخلوق، أي الأرض والسماء.

أترى أين يأتي بك التطويب، حيث إنه يُساعدك على تحقيق صلاح عظيم بواسطة ألم واضح؟ **والرسول (بولس)** أيضًا قد أدرك ذلك عندما قال: «وَلَكِنْ كُلُّ تَأْدِيبٍ فِي الْحَاضِرِ لَا يَرَى أَنَّهُ لِلْفَرْحِ بَلْ لِلْحَزَنِ. وَأَمَّا أَخِيرًا فَيُعْطِي الَّذِينَ يَنْتَدِرُونَ بِهِ ثَمَرٌ بَرٌّ لِلسَّلَامِ» (عب ١٢: ١١).

إذن، فإنَّ الحزن هو الزهرة التي سوف تُعطي الثمار المرجوة. فدعنا نلتقط الزهرة من أجل الثمرة. دعنا نكون مُضطهدين حتى نركض، ولكن ليتنا لا نركض باطلاً. دعنا نركض في سباقٍ نحو مكافأة دعوتنا السماويّة، فدعنا نركض لكي ننال. «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ يَرْكُضُونَ فِي الْمَيْدَانِ جَمِيعُهُمْ يَرْكُضُونَ، وَلَكِنْ وَاحِدًا يَأْخُذُ الْجُعْلَةَ؟ هَكَذَا ارْكُضُوا لِكَيْ تَنَالُوا.» (١ كو ٩: ٢٤).

وما هو الذي سننال؟ ما هي المُكافأة؟ وما هو الإكليل؟ يبدو لي أنَّ ما نرجوه ليس **سوى الرّب نفسه**. لأنه هو نفسه قاضي أولئك الذين يُجاربون، وهو إكليل أولئك الذين يربحون. إنه هو الذي يُورّث الميراث، بل هو **نفسه الميراث الصالح**. إنه هو النصيب ومُعطي النصيب. إنه يُعني وهو نفسه الغني. هو يُظهر لك الكنز، وهو نفسه كنزك. إنه يجتذبك لكي ترغب في اللؤلؤة الجميلة، وهو يُقدّمها لك كأنها للبيع إذا تاجرت كما يليق.

فدعنا، إذن، ألا نحزن إن كُنّا مُضطهدين، بل بالحري، دعنا نفرح لأنه بكوننا مطرودين من الكرامات الأرضيّة، نُساق **نحو الخير السماوي**. لأنه من أجل ذلك **وَعَدَ الرَّبُّ** أنَّ أولئك المُضطهدين من أجله يكونون مُطوّبين، لأن لهم ملكوت السموات، بنعمة ربنا يسوع المسيح، الذي له المجد إلى الأبد، آمين.

(١) مُترجم من كتاب:

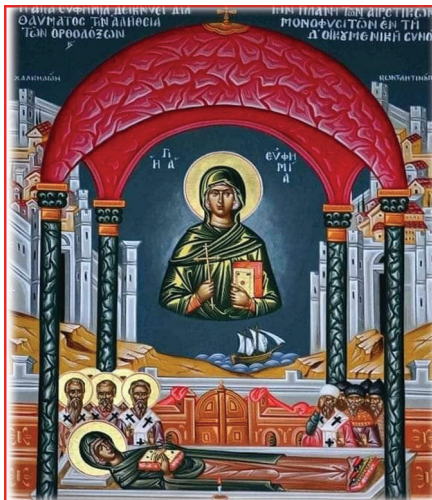
Ancient Christian Writers, Vol. 18, p. 85.

ينظر إلى الأشياء التي تركها، بل إلى تلك التي تأتي بعد ذلك. وهكذا فهو لا ينظر إلى ورائه، إلى المسرّات الماضية، بل يتقدّم إلى الصلاح الواقع أمامه. إنّه لا يتألّم بسبب فقدانه للأرضيّات، ولكنه **يُسّرُ بربح السماويّات**. وبذلك يكون مُستعدًّا أن يقبل كل شكل من العذاب كوسيلة تُساعده على بلوغ الفرح الذي أمامه. إنَّ كل مكيدة تُصيبه بالألم، سيقبلها بشغفٍ كثيرٍ يَاقِضُ سُمَّ **المسرة (الأرضيّة) الخطير**. إنَّ السريعي الغضب، وأولئك الذين يُعانون من النزوات الزائدة عن الحدّ، يشربون - بكلّ استعداد - الدواء المرّ الذي به يزول سبب المرض. وينفس الطريقة، فإنَّ الإنسان الذي يضطهده العدو، يتّجه **نحو الله**، ويَقْبَلُ اقتحام الآلام كوسيلة لهدم سلطان **المسرة (الأرضيّة)**.

إنَّ الذي يتألّم، لا يمكنه أن يتمتّع بالمسرة (الدنيويّة). فكما دخلت الخطية بواسطة المسرة، فهي تتلاشى بما هو عكس المسرة. فإذا اضطهد البشر غيرهم بسبب اعترافهم **بالرّب**، واخترعوا لهم أكثر العذابات غير المُحتملة؛ فإنهم يجلبون، بواسطة تلك الآلام، علاجًا للنفس؛ لأنّه بالالتجاء للألم يشفون المرض الذي سبّته المسرة (الشهوانيّة). وهكذا **تقبّل القديس بولس قطع رأسه، ويعقوب (ابن زبدي) السيف**، واستفانوس **الحجارة**، وبطرس **الصليب مُنكّس الرأس**. لقد قاسى المُصارعون لأجل الإيمان أنواعًا عديدة من العذاب، فألقِي البعض للوحوش، والبعض الآخر للنار... إلى غير ذلك. وقد قبلوا كل ذلك بفرحٍ كتطهيرٍ من الخطيّة. وهكذا فطوّى للمُضطهدين **من أجل الرّب**.

وكان النور يقول: «**طوبى لأولئك المُضطهدين من الظلمة من أجلي**». ونفس الشيء يمكن أن يُقال عن البرّ والتقديس، وعن الصلاح، أو عن أيّ مفهوم لتلك الأمور التي يربطها الفكر بالصلاح. وبمُكنّا أن نتصوّر **أنَّ الرّب يُكلّمك** بمثل هذا القول: **طوبى** للإنسان الذي يُطرّد من كل ما هو مُعادي، ومن الفساد ومن الظلمة ومن الخطية ومن الظلم ومن الشهوة. وباختصار، من أيّ شيء ليس فاضلاً، سواء في الكلام أو الأعمال أو الأفكار، لأن الانفصال عن الشرّ يعني **الثبات في الصلاح**.

يقول **الرّب**: «**إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيئَةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيئَةِ**» (يو ٨: ٣٤). إذن، فإذا تَرَكَ الإنسان ما اعتاد أن يخدمه، يبلغ إلى كرامة



القديسة أوفيميا العظيمة في الشهيدات



ذخائر القديسة أوفيميا محفوظة اليوم في كنيسة القديس جاورجيوس في حيّ الفنار (الفنر) بمدينة القسطنطينية - إسطنبول، وهي الكنيسة البطريركيّة المسكونيّة أشهر ما يُكرّم هناك هو جسدها الكامل تقريباً، الراقدة في تابوت زجاجي داخل الكنيسة، ويظهر أن يدها اليمنى تتحرّك أحياناً بحسب التقليد الكنسي عند حدوث أعجوبة أو علامة

ترجم من موقع <https://simeiakairwn.gr/2021/09/16/αγία-ευφημία-η-μεγαλομάρτυς-16-σεπτεμβρ/>

الذخيرة المقدّسة للقديسة في دير كيكو في قبرص، وفي لافرا القديس ألكسندر نيفسكي في مدينة سانت بطرسبرغ.

توجد ذخائر **القديسة أوفيميا** غير البالية: في الكاتدرائية البطريركيّة للقديس جاورجيوس في الفنار بالقسطنطينيّة. كما توجد أجزاء من

عاشت **القديسة أوفيميا** في زمن الإمبراطور ديوكليانوس، ونالت **إكليل الشهادة في سنة ٣٠٣ م**. كانت من مدينة خلقيدون، وابنة السيناتور الشهير والغني فيلوفرونوس، ومن والدتها التقية والمحبة للفقراء ثيودوسيانة. ترعرعت القديسة في «تأديب الرب وإنذاره»، ولذلك **أحبت المسيح**، والعفة، والاعتراف الحار باسمه.

أصدر الحاكم الأعلى للشرق، **پريسكوس**، والذي كان يجلس معه الفيلسوف والكاهن للإله الكاذب **أريس**، المدعو **أيليانوس**، اضطهادًا ضدّ المسيحيين في الشرق، تنفيذًا لأمر وقرار **ديوكليانوس**. وأثناء عيد الإله الكاذب **أريس**، أمر أن يشارك جميع السكان في الاحتفال. ومن لم يشارك، كان يُعاقب بعقوبات مرعبة. كان المسيحيون يخبئون في مجموعات، بعضهم في البيوت، وآخرون في أماكن نائية. وكانت **القديسة أوفيميا** تقود إحدى هذه المجموعات، مثبتة المؤمنين بكلامها الناري الملتهب.

ألقي القبض على **القديسة مع تسعة وأربعين عضوًا من جماعتها**. وعندما دعاهم **پريسكوس** إلى أن يقدموا ذبيحة لصنم الإله الكاذب **أريس**، رفضت **القديسة وجماعتها** ذلك بجرأة وعلائية. فغضب **پريسكوس** من ردّهم، وأصدر أمرًا بأن يضرب القديسون لمدة **عشرين يومًا**، وأن يجسّوا. وبعد مرور العشرين يومًا، حاول من جديد أن يقنع الشهداء بأن يضخّوا، ولكن بعد رفضهم، ضربوا ضربًا شديدًا إلى درجة أن الجنود الذين ضربوهم أهلكوا تمامًا. عندها، أمر **پريسكوس** بسجن بقية الشهداء، وحاول أن يقنع **القديسة أوفيميا** وحدها أن تقدّم ذبيحة. ولكن بعد رفضها واعترافها **بإيمانها بالمسيح**، وضعوها على العجلة، ومزّقوا بهذا كل جسد المقدّس.

خلال عذابها، كانت **القديسة** تصلّي بلا انقطاع. وبعد أن أنهت صلاتها، انحلت العجلة عنها بطريقة عجيبة، واستعيد جسدًا كاملاً وسليماً. بعد ذلك، أُلقيت **القديسة** في أتون متقد. إلا أن رئيسي الخدام، **سوسينيس وفكتور**، رفضا أن يُلقيا **القديسة** في الأتون، لأخما كانا يريان رجلين رهيّبين واقفين بجانب القديسة، وكانا يهدّدان بأن يبدّدا النار. اعترف **سوسينيس وفكتور بالمسيح ونالا إكليل الشهادة**. وبعد أن صلت **القديسة**، أُلقيت في الأتون، ولكن اللهب لم يمستها، بل خرج من الأتون وأحرق كثيرين.

المقصود في السياق:

(الرجلان الرهيّبان) (فوفيري أندريس) (φοβεροί ἄνδρες) هما على الأرجح ملاكين مُرسَلين من الله، يرافقان القديسة أوفيميا خلال عذابها، كما هو شائع في سير الشهداء. وجودهما بجانب القديسة رمزٌ للحماية الإلهية. وصفهما بـ «الرهيّبين» يشير إلى مهابتهما وقدرتهما على التدخل.

«يهدّدان بأن يبدّدا النار» يعني أن الملاكين كانا يُظهران عزمهما على إطفاء أو تشتيت النار التي أعدّت لتعذيب القديسة، أي أن النار لن تمسّها طالما أن العناية الإلهية تحيط بها.

أن الله لا يترك أحبّاءه وحدهم في لحظة الألم أو الموت، بل يُرسل

ملائكته لحمايتهم، تمامًا كما جاء في المزمور: «لأنّه يُوصي ملائكته بك ليكي تحفظوك في كلّ طريقك». (مزمور ٩٠: ١١)

أخضع **پريسكوس القديسة** لعذابٍ جديد، إذ كان يطبع جسد الشهيدة بحجارة حادة وحديد مسنّن، فتمزّق جسدُها وتقطّع. ولكن مرّة أخرى، بطريقة عجائبيّة، استُعيد جسدُها سليماً. بعد ذلك، أُلقيت **القديسة** في خزان كبير، حيث كانت توجد وحوش بحرية آكلة للحوم، غير أن الوحوش لم تؤذها، بل كانت تحملها فوقها. ثم ألقوا بالشهيدة في حفرة مليئة بالمسامير، فخرجت منها بلا ضرر. حاول **پريسكوس** أن ينشر **القديسة** ويحرقها، لكن أسنان المنشار التوت، والنار انطفأت، ولم تُصَب بأيّ أذى. أخيراً، أُطلقت الوحوش عليها، لكنها اقتربت منها وسجدت لها. وقبل هذا العذاب الأخير، **توسّلت القديسة إلى المسيح أن ينبحها بقربه**، فعصبتها دبة، وهكذا أسلمت روحها الطاهرة في يدي عريسها الإلهي.

فرح والداها ودفنا رفاتهما المقدّسة بكلّ إكرام في خلقيدون، وكانا **مجدّدان الربّ** لأخما نالا الكرامة بأن تكون ابنتهما من الشّهيدات العظيمات في الكنيسة، وشفيعه لديّه.

كرم الربّ العذراء العالّة والشّهيدة أوفيميا، بمنحة عدم فساد جسدها الطاهر والمُتألّم. وفي خلقيدون، اجتمع الآباء الحاملون الرّوح، وعددهم **٦٣٠**، سنة **٤٥١ م**، وعقدوا **المجمع المسكوني المقدّس الرابع في عهد الإمبراطورين النقيّين مرقيانوس وبولخاريا**. أدان هذا المجمع **الهرطوقي أوطيخا**، الذي كان يعلم ضلالة أن للمسيح طبيعة واحدة وطاقة واحدة، وهي طبيعة الألوهة. وقد صاغ الآباء القديسون عقيدة الإيمان القويم، بأنّ **للمسيح طبيعتين كاملتين، وإرادتين وطاقتين، إلهية وإنسانية، متحدتين في أقنوم واحد**. وهاتان الطبيعتان متحدتان بلا تغيير، ولا امتزاج، ولا تحوّل، ولا انفصال.

وخلال هذا المجمع، وضع الآباء الأرثوذكس كتابًا يتضمّن الإيمان الحقيقي الذي كانت الكنيسة تعلّمه وتؤمن به دائماً. كما وضع **المتدعون المونوفيزيون** كتابهم الخاص **المليء بضلالاتهم**. عندئذٍ، اتفق الجميع، الأرثوذكس والهرطوقيون، أن يضعوا النصّين على صدر **القديسة أوفيميا**. ففتحوا علبة الذخائر، ووضعوا الكتابين بداخلها، ثم أغلقوها وختموها.

ثم صام الطرفان وصلّوا ثلاثة أيام؛ وبعدها فُتح في اليوم الرابع، وجدوا كتاب الأرثوذكس في يديها، وكتاب المونوفيزيين عند قدميها. وهكذا، وبواسطة هذه الأعجوبة العجيبة، أكّدت الشهيدة العظيمة أوفيميا العقيدة الأرثوذكسية، ووقّعت على الإيمان القويم، ونشرت التعليم المسيحيّ عن الطبيعتين في المسيح إلى أقاصي المسكونة، وأظهرت تعليم أوطيخا وأتباعه من المونوفيزيين كضلالة شيطانية.

وتُحفظ كنيسة الرّوم الأرثوذكسيّة ذخائر كثيرةً لِقديسيّتها، ولا سيّما في جبّل آثوس، بُسْتانِ العذراء، الذي يضمّ عشرين ديرًا، ما خلا القلاي والمَناسك والميتوخيّات؛ وهو بُرّهانٌ دَامِعٌ على عَمَلِ الرّوح القدس ومَفَاعِيلِهِ في الكنيسة، جسّدِ المَسيحِ القَائِمِ وَالظَّافِرِ بِقُوَّةِ وَعَلِيَّةِ.

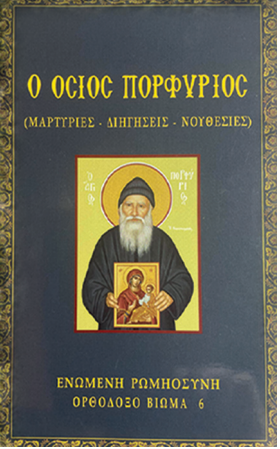
(33)

القديس يورفيرْيوس الرَّائي

كافسوكاليفيا
جبل آتوس - اليونان

شهادات، روايات، وتعاليم

جمعية نور المسيح



فقلت: «آه، (تُقصد) أجريليا؟! عندها تذكرتُ أنا أنّي بالفعل كنت قد ذهبتُ إلى دير في أجريليا - لأنه يوجد فيه زيتون بري يسمونه «أجريليا»

- فقال لي: نعم، حيث يكون الأب خريسوستوموس هو الرئيس؟
- آه، نعم، كيف حاله؟ سألته.
- هو بخير جدًا. أمّا أنت، فلن تكوني بخير.
- لماذا لن أكون بخير؟

- ها، ابتداءً من يوم الجمعة القادم، سيحدث لك أمر سيء جدًا في عملك، ولن تعودي قادرة على الاستمرار ستكونين مشوّشة ذهنيًا، كمن يتخبّط بين أفكار كثيرة لا يعرف من أين يبدأ، وسوف تأتي إلى جزيرة (إيفيا) لأجل خلاصك، إلى السكنى المقدسة، ومع (الكومبوسخيني) حبات المسبحة.

سأراك هناك في إيفيا ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ بالصلاة من أجلك. (كان يقصد أنه في الرؤية الروحية (ثيوتيا) (Theoptia-θεοπτία) أو المعاينة بالنعمة، سيشارك في ألمها ويصلي من أجلها، وسيرافقها ويرافقها في صراعاتها خلال تلك الثلاثة أيام والثلاث ليالٍ، وهو غائب بالجسد، لكن حاضر بالروح).

يوم الإثنين ستأتين إلى هنا، سأقرأ عليك صلاة خاصة، ويوم الإثنين عند الساعة السابعة صباحًا، ستكونين هنا.

يديّ، لأنّ تلك الغرفة كانت باردة. وقلتُ للقديس نكتاريوس: «هيا، أُر الشيخ كي يسمح لي بالصعود، لأني لا أتحمل أكثر. سأموت هنا من البرد.» ويبدو أن الشيخ سمعني، فعادت إليّني وقالت لي: «اصعدي حالًا، قال الشيخ ذلك الآن». فصعدت، وكان الجو دافئًا هناك في الأعلى، وكان لديه مدفأة من نوع «تورليني» (هي مدفأة معدنية تقليدية أسطوانية الشكل كانت شائعة في اليونان خلال القرن العشرين، تعمل غالبًا بالخطب أو الكيروسين).

ثم قال لابنة أخته: أنت الآن اخرجي إلى الثلج، وحين أناديك تعالي!
فقلتُ في نفسي: يا للمسكينة! الطقس بارد وهو يرسلها إلى الخارج.

وبالفعل، بينما كان الشيخ يتحدث إليّ، كانت ابنة أخته المسكينة تنتظر في الخارج. رحّب بي الشيخ باسمي، وفورًا خطر لي أن الراهبة التي أعرفها ربما اتّصلت به هاتفياً وأعطته اسمي. ثم قال لي الشيخ بعد ذلك: وهل تعلمين أنّه عندما كنت في السابعة من عمرك، ذهبت إلى ذلك الدير، إلى ذلك الرئيس... ما اسمه؟ ذاك الدير وذاك الرئيس...

فأجبت: «لا أعلم يا أبتّي، لا أذكر. في السابعة ذهبتُ إلى دير؟ أيّ رئيس؟ أيّ دير؟ فقال: «ذاك الذي فيه زيتون برّي...»

١٢ - «ليس أنا، بل النعمة الإلهية هي التي جعلتك صالحًا».

شهادة من مجهولة الاسم :

حين كنت فتاة في الخامسة عشرة من عمري، قالت لي راهبة - كانت أيضًا طبيبة من أحد الأديرة في منطقة أتيكا - أنّه يجب أن أذهب حتمًا إلى الشيخ يورفيرْيوس، الذي كنتُ قد سمعتُ عنه كثيرًا من صديقاتي، ومن المؤسسة التي كنتُ أقيم فيها. فأطعتها، لا سيما وأنّ عملي كان قريبًا من هناك. كنتُ أعمل كبائعة كتب متجوّلة. مشيتُ وسط الثلج حتى وصلتُ إلى ميليسي، حيث كان قد أنشئ الدير. كانت تلك الراهبة قد أوصتني أن أدخل من الباب الخلفي وأطلب الأخت خاربيكليا، التي أصبحت فيما بعد الرئيسة يورفيريا. وبالفعل ناديتها، وقلتُ لها إنّ الراهبة الفلانيّة هي التي أرسلتني. وبينما كنتُ أنتظر في البرد وقد تجمّدتُ من شدّة الصقيع، خرجت وقالت لي: «انتظري لحظة، من فضلك، فالشيخ قال أن نفتح لك الباب. ثم نزلت ابنة أخته إليّني (التي أصبحت لاحقًا الأخت فيفرونيا)، وأخذتني إلى غرفة صغيرة.

كانت غرفة اعتراف، فيها أيقونة للقديس نكتاريوس وقنديل زيت، وتركنتي هناك وصعدت إلى الشيخ. وبينما كنتُ متجمّدة من البرد، صعدتُ فوق مقعد صغير لأدفي

— ماذا أقول لك؟ وماذا بوسعك أن تفعلي؟
— اجلسي، وسأقرأ لك صلاة. لا تضعي شيئاً... (يُخرج البطرشيل، يلبسه، ويقول لي):
— سأقرأ لك صلاة... ركعت،

وقال: «بشفاعة القديسة التي تحمل اسمك، القديسة براسكيني»... كنت قد سمعته يستخدم هذه العبارة من قبل، وقال بعدها:
— أين تعانين من قصر النظر أكثر؟

ففكرت في نفسي: «لكنني لا أرادي النظارات، فكيف عرف أن لدي قصر نظر؟»
— أين، يا فتاة، تُعانين من قصر النظر أكثر؟ في العين اليمنى أم اليسرى؟

— لا أذكر يا أبتى، في واحدة أكثر قليلاً من الأخرى...

فقال: أعطني نبضك... ناولته يدي، فقال لي: في اليمنى تعانين أكثر.

ثم قرأ عليّ صلاة. وفي الختام قال لي: يوم الجمعة، لا تتصلي بي، لأنك في الوقت الذي ستحاولين فيه الاتصال، سأكون قد غادرتُ إلى إيفيا. (لم أفهم تماماً ما كان يقصده، ثم انصرفت).

في يوم الجمعة بدأت الصعوبات الكبرى في حياتي. مشاكل صاعقة ضربت كل حياتي. مشاكل ظهرت من العدم، وأثقلتني - مشاكل من العمل، ونفسية، وجسدية، وروحية، مشاكل لها علاقة بكل كياني. انفجرتُ بالبكاء حتى الظهر. وسبب هذا البكاء ضرراً كبيراً لعيني. اتصلتُ بالشيخ، لكنه كان قد غادر فعلاً إلى إيفيا، كما سبق أن قال لي. أخذتُ الحافلة وذهبتُ إلى الأخت في الدير لأراها.

حين رأني على تلك الحال البائسة، قلتُ لها: «الشيخ بورفيربوس أرسلني لأبقى هنا ثلاثة أيام لانتظره ونصلي، لأنّ أموراً صعبة حدثت لي وأنا في حال يرثى لها».

فقلت لي: «انظري، بما أنك على هذه الحال، اصعدي إلى غرفتك لترتاحي، وعندما أنتهي من عملي، سأتي لتتحدث».

كانت الأخت طبيبة أطفال، وكان لديها الكثير من المرضى.

صعدتُ إلى الأعلى، ومن شدة البكاء

أصبحتُ شبه عمياء، لم أعد أرى شيئاً. جلستُ في الكرسي بانتظار الأخت. وفي اللحظة التي كنتُ أجلس فيها دون أن أرى... فكرتُ بالشيخ بورفيربوس وقلتُ له في قلبي: «أبت بورفيربوس، قلت لي إنك ستساعدني، وإنك ستكون بقربي بصلاتك، وإن كل شيء سيكون على ما يرام. لكنني الآن قد فقدتُ بصري، لا أستطيع الذهاب إلى أي مكان، ولا أن أتحدث مع أحد. ماذا أفعل؟ أرسل لي معونة».

بعد ذلك غفوْتُ واستيقظتُ على صوت أجراس الكنيسة صباح السبت. حين استيقظت، وضعتُ نظارتي ولم أكن أرى شيئاً. نزعْتُ النظارة، فرأيتُ كل شيء بوضوح. فكرتُ أنّ الراهبة قد صعدت وربما طلبت من الأخت أن تفحصني.

نزلتُ إلى الكنيسة، وأخبرتُ الراهبة بما حصل، فأجابتنني طبيبة الأطفال: «الشيخ بورفيربوس على الأرجح هو من شفاك. كانت المشكلة في قصر النظر. سأراك لاحقاً وسنرى ما الأمر».

تقدّمتُ وتناولتُ، وبعدها ذهبنا إلى عيادة الأخت، حيث أجرت لي فحصاً.

قالت لي: ليس لديك أي قصر نظر، لقد شُفيتَ تماماً، نسبة قصر النظر صفر. يمكنك أن تتخلّصي من النظارة.

فقلتُ لها: لا، سأحتفظ بها، لأنّه من سيُصدقني إن قلتُ له إنني شُفيتُ بصلاته؟ يجب أن أحتفظ بالنظارة لأرهبها له!

صباح الاثنين عند الساعة السابعة، كنتُ في ميليسي. الباب السفلي، الذي كان دائماً مغلقاً، كان مفتوحاً على مصراعيه، وكان ينتظرنني.

صعدتُ إلى قلايته، من الدرج، وكان وحده ينتظرنني. وحين رأيتُ أنه لا يوجد أحد، ناديت عليه:

— أشكركم يا أبتى، لأنكم بصلاتكم جعلتموني أرى.

فقال لي: لم أسمعك، تعالي قريباً مني. اقتربتُ منه، ركعتُ، قبّلتُ يده وقلتُ له: — أشكركم لأنكم جعلتموني أرى.

فرفع يده وصفعني صفتين قويتين لدرجة أدهشتني، فقلت له:

— يا أبتى، ماذا فعلتُ لكم؟ من أين لكم هذه القوة لتضربوني هكذا؟

قال: أنا جعلتك تبصرين؟ ومن قال لك ذلك؟ إنّ النعمة الإلهية هي التي شَفّتكَ.

قلتُ له: لكنني لا أعرف هذه النعمة، أنا كلّمْتُك أنت، توصلت إليك، لم أتوسل إلى «النعمة»! قلتُ لك أنت أن تقول لشيء إلهي...

— أي نعمة، يا فتاة؟ إنّ نعمة الله هي التي ساعدتك، لا أنا. هل قلتُ هذا لأحد؟ قلتُ: نعم، أخبرتُ الطبيبة الأخت.

قال لي: اتصلي بها الآن وقولي لها إنّ الشيخ يقول: «لكما أنت وهي قانون (إفخارستي) بالأنا تخبأ أحداً بشيء حتى مماتي!»، الآن اتصلي بها.

فاتصلتُ بها وقلتُ: أختي، أنا الآن مع الشيخ. أجابتنني: بركته تكون معنا.

— نعم، بركته. ولكن يجب أن أخبرك أنّنا نحن الاثنين تحت قانون بالأنا تُخبر أحداً أنّه هو من شفى عيني... ضحكت الأخت.

قلتُ لها: لا تضحك، الأمر جدّي. لقد تعرّضتُ للضرب لأجل هذا!

أغلقت الهاتف، فقال لي الشيخ:

— لن تعودني إلى تلك الوظيفة. لا يمكنك الاستمرار بها، لأنها خطيرة جداً. لا يمكن لفتاة صغيرة في الخامسة عشرة من عمرها أن تدخل بيوتاً غريبة (كمندوبة مبيعات كتب). سنجد لك عملاً آخر. تماماً كما فعلتُ أنا. إذًا، انتهى الموضوع. وإلا لن نتحدث مجدداً، اتفقنا؟. قلتُ له: اتفقنا.

قال لي: وستأتين إليّ لكي أنصحك بما تفعلين. من هو مرشدك الروحي؟

قلتُ: سيادة المطران قسطنطين، متروبوليت بغداد.

قال: حسناً، حين تصلين إلى منزله، اتصلي بي فوراً. يجب أن أكلّمه.

وفعلاً، حين ذهبتُ إلى منزل المطران، اتصلتُ به، فتحدّثا عني، وكان الشيخ

ينصحه بشأن مسار حياتي.

«في كل مرة كنتُ أذهب فيها إلى الشيخ مع أحد الأشخاص، أو مع صديقة تعاني من مشاكل صحية خطيرة - سواء السرطان، أو القلب، أو غير ذلك - كان يحصل في الغالب أن تُشفى بفضل صلاته.

أعرف حالة جيّدًا قام فيها هو بنفسه بشفاء ورم أمام المريضة، في القلاية. قال لها: «سأزيل لك الورم»، وأخرجه أمامها - هو نفسه شرح

كيف - ثم قال لها: «الآن لم تعود بحاجة إلى الجراحة، السرطان خرج من صدرك.» كان كثيرًا ما يقرأ أفكاره ويقول لي: «أنا أرى كل شيء. قد أكون هنا وأنت في بنتلي، لكنني أرى كل شيء، حتى ما تفكرين به عني، وحتى نيتك تجاهي.

لماذا تفكرين بأفكار سيئة عني؟ من فضلك لا تكوني هكذا، وقولي لي كل شيء، لكي أعرف. قالت: كان يرى طاقتي. أحيانًا كنتُ أشتمه

داخليًا، فيقول لي: «لماذا تشتمين؟ أنا أسمعك من داخلك!» كان يرى كل مرحلة. كان يساعدني ويكشف لي ما في داخلي، ويساعدني كيف أقول الحقيقة، وكيف أتابع، وكيف أصلح الأمور. كان حبًّا إلهيًّا، كان دائمًا يقبلنا، ويكلّمنا بكلام طيّب، وينصحننا، وكان يرى الأمور قبل أن تحدث ويقول لنا إنّه سيكون إلى جانبنا. أشكره من أجل كل شيء، وأطلب شفاعته. **يتبع في العدد القادم**

القديسة مريم والدة الإله الكلية القداسة كمثال للحياة في المسيح



ΠΕΜΠΤΟΥΣΙΑ

هيراكليس ريراكيس، أستاذ علم التربية المسيحية في جامعة أرسطو في تسالونيكي

<https://www.pemptousia.gr/08/2023/i-panagia-os-protipo-tis-en-christo-zois/>

ترجم من موقع

(على خلاف الطبيعة) الابن كلمة الله.

بحياتها المتواضعة النقية المقدسة، صارت مثالاً للكمال والنقاوة لكل إنسان يرغب أن يبلغ (في المسيح) قمة القداسة، حسب وصية الرب: «كونوا قديسين، لأني أنا قُدوس» (١ بطرس ١: ١٦).

الطريقة التي يستقبل بها الإنسان المسيح ويحيى به مُخلصًا وفاديًا، قد بيّنتها لنا العذراء مريم (من خلال حياتها المتواضعة المقدسة).

في هذا السياق، يُشير القديس غريغوريوس اللاهوتي إلى أن غير الطاهر لا يستطيع أن يقترب من الطاهر، قائلاً: «ليس مسموحًا لغير الطاهر أن يلمس الطاهر... يجب أولاً أن يتطهر الإنسان نفسه، ثم بعد ذلك يمكنه أن يقترب من الطاهر ويتحدث معه».

جميع المؤمنين قد نالوا الوصية والبركة أن يضيئوا المسيح ويختضبوه كطفل في المعارة الخاصة بهم، أي في داخل قلوبهم، كما فعلت أمه كليلّة النقاوة.

ملحوظة: السكّني فينا كما سكن في العذراء:

«إذ سكن فيها بالجسد، لكي يسكن فينا نحن أيضًا بالروح. فكما تقول الكتب «إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبني أبي، وإليه تأتي، وعنده تصنع منزل» (يو ١٤: ٢٣)، و«يا أولادي الذين أحمض بكم أيضًا إلى أن يتصور

إن والدة الإله البتول هي ابنة القديسين البارّين في التقليد الكنسي، وهما يواكيم وحنة؛ وقد استجاب الله صلواتهما، ومع أنهما كانا متقدمين في السن، لقي طلبهما ومنحهما ابنة وهبت (لأجل طهارتها) أن تصبح أمًا لله المتجسد ومخلص العالم.

كانت العذراء فتاة بسيطة، متواضعة عادية؛ لم تولد من الروح القدس كما ولد الرب، ولكنها أهدت أن تحبل (من الروح القدس) بابن الله، وأن تصبح أمًا للفادي ولكل البشر في العالم.

تكرّم كيبستنا العذراء بأشكال متعدّدة؛ لأنها (وإن كانت تُشارك البشر الطبيعة نفسها) لبثت قريبة من الله، وخدمت هيكله بالصلاة والصوم (أي الامتناع عن الشر)، وبنعمته تعالى تطهرت من الخطيئة، وظلت نقيّة غير مدنّسة، وتمت الفضائل المؤهوبة من الله والمرضية لديه، حتى بلغت درجة من القداسة فانتخبها الله لتصبح (بالروح القدس) أمًا لله المتجسد.

بفضل قداسيتها، تهيأت العذراء أن تصبح إناء مختارًا للثالوث الأقدس؛ وهي (المُمثلة نعمة، و«المباركة في النساء»، حواء الجديدة) التي باتضاعها وطاعتها المقدسين لله، أهدت أن تقبل البشارة التي بلغها رئيس الملائكة، وأن تحبل (بنعمة الروح القدس) في أحشائها، وتلد

المسيح فيكم». (غل ٤: ١٩)، و«هَذَا وَقِفْتُ عَلَى الْبَابِ وَأَفْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلْ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي.» (رؤ ٣: ٢٠) لكن لكي يَدْخُلَ الْآتِي إِلَى مَغَارَةِ الْإِنْسَانِ وَيُخْتَضِنَ كَطِفْلٍ فِي مَدْوَدِ النَّفْسِ، فَلَا بُدَّ مِنْ مَكَانٍ نَقِيٍّ طَاهِرٍ، كَالَّذِي أَظْهَرْتُهُ الْعَذْرَاءُ بِحَيَاتِهَا الْمُقَدَّسَةِ. فَإِنَّهَا (بِالْحَقِيقَةِ) قَدْ وَجَّهَتْ الْبَشَرِيَّةَ كُلَّهَا بِحَيَاتِهَا الْفَاضِلَةِ الْمُتَوَاضِعَةِ، وَأَظْهَرَتْ الطَّرِيقَةَ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يُولَدَ بِهَا الْمَسِيحُ (بِحُرِّيَّةٍ) فِي مَغَارَةِ قَلْبِ كُلِّ إِنْسَانٍ.

يَقُولُ الْقَدِيسُ غريغوريوس بالاماس: «إِنَّ الْعَذْرَاءَ جَعَلَتْ اللَّهُ ابْنًا لِلْإِنْسَانِ، وَالْإِنْسَانُ ابْنًا لِلَّهِ»، إِذِ اخْتَارَتْ أَنْ تَسْلُكَ الطَّرِيقَ الَّتِي بِهَا اخْتَارَ اللَّهُ إِلَى الْإِنْسَانِ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ ارْتَفَعَ بِهَا الْإِنْسَانُ نَحْوَ اللَّهِ. لَقَدْ كَانَتْ الْعَذْرَاءُ (بِصِفَتِهَا كَانَتْ بَشَرِيًّا) طَاهِرَةً وَمُتَحَرِّرَةً مِنَ الْأَهْوَاءِ، وَعَذْرَاءَ حَقِيقَةً فِي النَّفْسِ وَالْجَسَدِ. وَقَدْ قَبِلَتْ، بِحُرِّيَّةٍ، أَنْ يَتَجَسَّدَ فِيهَا (مِنْ الرُّوحِ الْقُدُسِ) نَفْسُ الْإِلَهِ الْمُتَأَنِّسِ.

وَبِحَسَبِ الْقَدِيسِ غريغوريوس، صَارَتْ (إِلَى الْأَبَدِ) «جَذَرُ حُرِّيَّةٍ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ»، وَ«الْمَكَانَ الَّذِي لَا يُجْتَوَى فِيهِ غَيْرُ الْمُخْتَوَى، وَالْحَدُّ الْوَحِيدَ الْفَاصِلَ بَيْنَ الطَّبِيعَةِ الْمَخْلُوقَةِ وَالطَّبِيعَةِ غَيْرِ الْمَخْلُوقَةِ». وَهَكَذَا، فَإِنَّ رَفْعَةَ الْعَذْرَاءِ تُشَكِّلُ مَثَالًا لِرَفْعَةِ كُلِّ مُؤْمِنٍ؛ إِذْ إِنَّهَا، بِسَبَبِ نَقَاوَتِهَا وَطَاعَتِهَا، نَالَتْ الْبَرَكَةَ مِنَ اللَّهِ، وَصَارَتْ الْإِنَاءَ الطَّاهِرَ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ الْقَادِي لِلْخَلَاصِ الْعَالَمِ، وَ«السَّلَامَ الَّذِي بِهِ نَزَلَ اللَّهُ».

ملحوظة: الْمَسِيحُ هُوَ الْكَفَّارَةُ الْوَحِيدَةُ: «وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِحَطَايَانَا، وَلَيْسَ لِحَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِحَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا» (١ يوحنا ٢: ٢). فَالْمَسِيحُ هُوَ الْكَفَّارَةُ الْجَوْهَرِيَّةُ الْفَاعِلَةُ؛ أَمَّا الْعَذْرَاءُ فَهِيَ إِنَاءُ الْكَفَّارَةِ، وَأُمُّ الَّذِي هُوَ الْكَفَّارَةُ، وَالْمُمَثِّلَةُ الطَّاهِرَةُ لِلْبَشَرِيَّةِ فِي قَبُولِهَا الْخَلَاصَ. فَهِيَ خَادِمَةٌ لِمَشْرُوعِ الْفِدَاءِ بِكَمَالِ الْحُرِّيَّةِ وَالطَّاهَرَةِ. وَكَمَا فِي مَدِيحِ الْعَذْرَاءِ: «أَفْرَحِي يَا اسْتِعَادَةَ آدَمَ السَّاقِطِ»؛ أَيْ: «أَفْرَحِي يَا مَنْ كَانَتْ وَسِيلَةً لاسْتِعَادَةِ آدَمَ، بِالَّذِي تَجَسَّدَ مِنْكَ»، أَيْ إِنَّهَا أَخَذَتْ هَذَا الدُّورَ لِكُونِهَا وَالِدَةَ الْإِلَهِ، لَا لِأَنَّهَا خَلَصَتْ آدَمَ، بَلْ لِأَنَّهَا وَلَدَتْ مَنْ خَلَصَهُ.

لَا يُمَكِّنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَفْتَرِبَ مِنَ التَّذْيِيرِ الْإِلَهِيِّ، وَمِنْ الْمَصَالِحَةِ وَاتِّحَادِ اللَّهِ بِالْإِنْسَانِ، دُونَ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَيَاةِ الْبُتُولِيَّةِ لِلْوَالِدَةِ الْفَائِزَةِ السُّمُوِّ وَالْقُدَّاسَةِ؛ لِأَنَّهَا (بِفَضْلِ فَضِيلَتِهَا) تُحَدِّدُ شَكْلَ الْعِلَاقَةِ الْبَشَرِيَّةِ مَعَ الْمَسِيحِ، وَتَهْدِي الَّذِينَ يَطْلُبُونَ الْخَلَاصَ إِلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي يَسْتَجِيبُونَ بِهَا لِمَجِيءِ الْقَادِي الْأَبَدِيِّ الْآتِي دَائِمًا إِلَى الْعَالَمِ، وَتُظْهِرُ لَهُمُ الطَّرِيقَ إِلَى الْإِرْتِفَاعِ وَالصُّعُودِ مِنْ خِلَالِهِ.

لَقَدْ قَبِلَتْ الْعَذْرَاءُ الْمَسِيحَ فِي دَاخِلِهَا، وَكَمَا يُشِيرُ الْقَدِيسُ غريغوريوس: «جَعَلَتْهُ قَابِلًا أَنْ يَسْكُنَ فِي الْجَمِيعِ، مُوزَعًا عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ الْبَرَكَةَ، بِحَسَبِ نِسْبَةِ طَهَارَتِهِ وَمِقْدَارِهَا».

إِنَّ لَاهُوتَ كَنِيسَتِنَا (كَمَا يُعَبَّرُ عَنْهُ فِي تَسَابِيحِهَا) يُمَجِّدُ رُقَادَ الْعَذْرَاءِ؛ لِأَنَّهَا، كَمَا يَقُولُ الْقَدِيسُ غريغوريوس، سَلَمَتْ رُوحَهَا بَيْنَ يَدَيْ ابْنِهَا وَإِلَهِيهَا، الَّذِي أَصْعَدَهَا (مَعَ جَسَدِهَا) إِلَيْهِ، إِلَى مَوْضِعِ سَمَاوِيٍّ غَيْرِ زَائِلٍ، مَمْلُوءٍ حَيَاةً أَبَدِيَّةً.

فِي الطُّرُوبَارِيَّةِ الْخَاصَّةِ بِعِيدِ رُقَادِ وَالِدَةِ الْإِلَهِ، يُشَدَّدُ عَلَى أَنَّهَا فِي الْحَبْلِ وَالْمِيلَادِ حَفِظَتْ بُتُولِيَّتَهَا، وَفِي رُقَادِهَا لَمْ تَهْجُرِ الْعَالَمَ؛ لِأَنَّهَا

«انْتَقَلَتْ إِلَى الْحَيَاةِ»، بِوَصْفِهَا أُمُّ الْحَيَاةِ (أَيِ الْمَسِيحِ)، وَهِيَ بِشَفَاعَتِهَا تُفْدِي نَفُوسَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمَوْتِ.

يُقَالُ عَنْ رُقَادِ وَالِدَةِ الْإِلَهِ إِنَّهُ رُقَادٌ، لِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ مَوْتٌ، بِحَسَبِ مَا عَلَّمَهُ وَعَاشَهُ ابْنُهَا؛ هُنَاكَ حَيْثُ تَكُونُ الْحَيَاةُ (حَيَاةُ الْعَالَمِ، أَيْ الْمَسِيحِ)، وَكَذَلِكَ وَالِدَةُ الْحَيَاةِ، الْعَذْرَاءُ مَرْيَمُ. وَبِوَاسِطَةِ انْتِقَالِهَا اسْتَقْبَلَهَا ابْنُهَا وَإِلَهِيهَا، وَتَقَبَّلَهَا، وَأَدْخَلَهَا (بِالْجَسَدِ) إِلَى عَدَمِ الْفَسَادِ وَالْخُلُودِ.

فَرَّحَ الْمُؤْمِنِينَ عَظِيمًا؛ لِأَنَّ أُمَّ جَمِيعِ الْبَشَرِ وَجَمِيعِ الْأَجْيَالِ قَدْ أَهْلَتْ أَنْ تُصَيَّرَ جَسْرًا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَمِنْ خِلَالِهَا يَسْتَطِيعُ كُلُّ إِنْسَانٍ (بِالْإِيمَانِ) أَنْ يَصْعَدَ مِنْ جَدِيدٍ نَحْوَ اللَّهِ، إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ لَهُ مِنَ اللَّهِ قَبْلَ السُّقُوطِ. وَلَدَتْ الْعَذْرَاءُ مَرْيَمُ الْإِلَهَ الْمُتَجَسِّدَ؛ الَّذِي بَعْدَمَا قَامَ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ وَصَعِدَ إِلَى السَّمَاوَاتِ، «وَقَدْ أَبْطَلَ الْمَوْتَ»، مَحْدَ الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي أَخَذَهَا حِينَ وُلِدَ مِنَ الْعَذْرَاءِ، وَرَفَعَهَا إِلَى الْآبِ وَالْخَالِقِ.

فِي رُقَادِ وَالِدَةِ الْإِلَهِ وَانْتِقَالِهَا، تَتَجَلَّى مَرَّةً أُخْرَى كَرَامَةُ الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ؛ إِذْ تَرْتَفِعُ، بِنِعْمَةِ اللَّهِ، إِلَى الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ. وَفِي شَخْصِ وَالِدَةِ الْإِلَهِ، كَمَا يُشَدُّ فِي طُرُوبَارِيَّاتِ أَعْيَادِهَا، «قَدْ غَلِبَتْ نَوَامِيسُ الطَّبِيعَةِ»؛ إِذْ إِنَّهَا «بَقِيَتْ عَذْرَاءً فِي الْحَبْلِ، وَبَعْدَ الْوِلَادَةِ، وَهِيَ حَيَّةٌ بَعْدَ الْمَوْتِ».

كُلُّ مَا عَاشَتْهُ وَالِدَةُ الْإِلَهِ (بِصِفَتِهَا أُمُّ اللَّهِ) هُوَ أُعْجُوبَةٌ مُتَنَاقِضَةٌ لَا تُدْرِكُ بِالْعَقْلِ: فَهِيَ تُحْبَلُ بِابْنِ اللَّهِ بِطَرِيقَةٍ فَوْقَ طَبِيعِيَّةٍ، وَتَلِدُهُ بِأُعْجُوبَةٍ (بِالرُّوحِ الْقُدُسِ)، بَيْنَمَا تَبْقَى عَذْرَاءً كَمَا كَانَتْ.

بِرُقَادِهَا وَانْتِقَالِهَا، تَعْبُرُ الْعَذْرَاءُ الْمَوْتَ، وَلَكِنَّهَا لَا تَبْقَى فِي الْمَوْتِ؛ لِأَنَّهَا (مِنْ خِلَالِ انْتِقَالِهَا الْإِلَهِيِّ) تَدْخُلُ مُبَاشَرَةً فِي الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ.

لَقَدْ تَعَرَّفْنَا عَلَى سُلُوكِ الْعَذْرَاءِ وَطَرِيقَةِ حَيَاتِهَا الْمُتَوَاضِعَةِ، الْقَرِيبَةِ مِنَ الْمَسِيحِ حَتَّى النِّهَايَةِ، بِحَسَبِ مَا تُظْهِرُهُ لَنَا الْأَنَاجِيلُ، وَتَعَرَّفْنَا أَيْضًا عَلَى قُرْبِهَا مِنَ الرُّسُلِ الْقَدِيسِينَ، قَبْلَ الْعَنْصَرَةِ وَبَعْدَهَا، كَمَا يَدْكُرُهُ سِفْرُ أَعْمَالِ الرُّسُلِ.

قُرْبَ الْمَسِيحِ، عَاشَتْ الْعَذْرَاءُ حَيَاتَهَا الْمُقَدَّسَةَ فِي هَامِشِ خِدْمَتِهِ الْعَلَنِيَّةِ، كَمَا عَاشَتْ أَيْضًا قُرْبَ الرُّسُلِ، فِي تَوَاضُعٍ مُقَدَّسٍ، وَوَقَارٍ، وَخَفَاءٍ، وَتَقْوَى، دُونَ أَنْ تَطْلُبَ يَوْمًا مَكَانَةً أَعْلَى. كَانَتْ تُعَلِّمُ بِفَضْلِ حَيَاتِهَا وَفَضِيلَتِهَا. وَلِهَذَا يَسْتَحِقُّ أَنْ تُكْرَمَ الْعَذْرَاءُ مِنْ قِبَلِ الْمُؤْمِنِينَ، لَا بِأُمُورٍ مَادِّيَّةٍ، بَلْ بِالصَّلَوَاتِ وَالطَّلِبَاتِ، وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ بِتَقْلِيدِ حَيَاتِهَا الْعَذْرَاوِيَّةِ. وَكَانَ الْقَدِيسُ بَابِيسيوس يَقُولُ: «أَيُّ خَيْرٍ يَجِدُهُ الْإِنْسَانُ لِيَقُولَهُ عَنْ وَالِدَةِ الْإِلَهِ؟ لَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْ عَظَمَتِهَا؛ لِأَنَّهَا بِطَاعَتِهَا، فَتَحَتْ لَنَا الْفِرْدَوْسَ مِنْ جَدِيدٍ». وَلِهَذَا السَّبَبِ، فَإِنَّ الْكَنِيسَةَ الْأَرْتُودُكْسِيَّةَ سَتَظَلُّ تَشْكُرُ الْعَذْرَاءَ وَتُطَوِّبُهَا فِي كُلِّ الدُّهُورِ وَلِكُلِّ الْأَجْيَالِ، بِحَسَبِ الْكَلِمَةِ الْكِتَابِيَّةِ: «لَأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى اتِّضَاعِ أَمَّتِهِ. فَهُوَذَا مِنْذُ الْآنَ جَمِيعُ الْأَجْيَالِ تُطَوِّبُنِي» (لو ١: ٤٨).

تفسير للكلمة اللاهوتية: «الذي لا يسعه مكان» «إي خورا تو أخوريثو»
«ἡ χώρα τοῦ ἀχωρήτου» (hē chōra tou achōrētou)

أي: «المكان الذي لا يُحتوى فيه غير المحتوى» (الذي لا يسعه مكان)، هو لقب آبائي للعذراء مريم والدة الإله، يصف سر كونها قد احتوت في أحشائها غير المحدود، أي الله نفسه، إذ تجسّد منها.

دير كوتولوموسيُّو العامر للروم الأرثوذكس

جبل
آثوس
اليونان



لم يكن مجرد مركز روحاني، بل كان قلعة للمقاومة الروحية والإيمان الأرثوذكسي، حيث فضّل الرهبان الموت على الخضوع لاتحاد غير مبني على العقيدة الأرثوذكسية السليمة. (انظر مجلة شهر أيار ٢٠٢٤ عدد رقم ٢٠١ - كيف تمّ حرق نساك دير زوغرافو من حقد وعنفوان بابا روما)

ضمّ الأديرة منح كوتولوموسيُّو قوّة جديدة:

بعد تلك الأحداث، وفي سنة ١٢٨٧، منح البروتوس (رئيس جبل آثوس) دير كوتولوموسيُّو دير ستافرونيكتا، الذي كان في ذلك الوقت في حالة تدهور، ثم بعد سنوات، وتحديداً سنة ١٣٢٩، منحه أيضاً دير أنافاساس. وقد أدّت هذه الضمّات، إلى جانب الجهاد الروحي للآباء، إلى فترة ازدهار هائلة للدير. وفي الوقت نفسه، بدأت في القرن الرابع عشر علاقة دير كوتولوموسيُّو مع الأفلاق (فلاخيا) (مقاطعة في رومانيا). وقد جاء زمن الازدهار الحقيقي تحت القيادة المستنيرة للأرشمندريت خاريطون الإمبري، وخاصة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر. وقد نال خاريطون دعماً كبيراً من ألكسندروس باشاراب ويوحنا فلاديسلافوس، اللذين أرسلتا مساعدات مالية كبيرة، وأطلقا مرحلة جديدة من إعادة إعمار الدير.

الهجمات القرصية تُصيب دير كوتولوموسيُّو:

في الوقت نفسه، عانى دير كوتولوموسيُّو من فترات عصيبة بسبب الغارات للصويّة من القراصنة الكتلايين والأتراك. وفي هذه المرحلة الحرجة، قدّم كلٌّ من الإمبراطور أندرونيكوس الثاني باليولوجوس، ومن بعده ثيودورا قنطا كوزينا، دعماً مُهمّاً ساعد الدير على النهوض من جديد. في سنة ١٣٩٣، أعلن البطريرك المسكوني أنطونيوس دير كوتولوموسيُّو ديراً بطريركياً وستافرونيكتياً. وفي مطلع القرن الخامس عشر، استقرّ رهبان كوتولوموسيُّو في دير القديس أليبيوس المهجور حينها، ثم في سنة ١٤٢٨، وبموجب مرسوم بطريركي (سغلبون)، تمّ ضمّ دير أليبيوس رسمياً إلى دير كوتولوموسيُّو، الأمر الذي منح الدير قوّة إضافية.

أين يقع دير كوتولوموسيُّو؟ يقع دير كوتولوموسيُّو بالقرب من بلدة كارييس، وهو مكرّس لعبد تجلي المخلص. ويحتل كوتولوموسيُّو المرتبة السادسة في ترتيب الأديرة في جبل آثوس.

متى تأسّس دير كوتولوموسيُّو، ومن هو مؤسّسه؟

يبدو أن دير كوتولوموسيُّو كان موجوداً قبل سنة ١١٦٩، إذ يُذكر اسمه في وثيقة رسمية تعود إلى تلك السنة. ويُعتبر مؤسس الدير راهب يُدعى كاليستوس، وقد أتى من بلاط كوتولوموس، السلف المؤسس للسلالة السلجوقية التي اعتنقت المسيحية.

دير كوتولوموسيُّو عبر القرون:

منذ السنوات الأولى لتأسيسه، كان لدير كوتولوموسيُّو راعيٌّ ومُحسن هو الإمبراطور ألكسيوس الأول كومنينوس، وهو ما ساعد الدير على الازدهار. الإمبراطور ألكسيوس الأول كومنينوس (حكم بين ١٠٨١-١١١٨) كان من أبرز أباطرة الرُّوم، وقد قدّم دعماً كبيراً للأديرة، مما جعلها مراكز روحية وعلمية مزدهرة.

رهبان كوتولوموسيُّو ضد الاتحاد مع الكنيسة البابوية:

شهد القرن الثالث عشر دخول الدير في أزمة، بسبب الضغوط الخارجية التي كانت تُمارس من أجل الاتحاد بين الكنيستين. وفي عهد الإمبراطور ميخائيل، وصلت وحدة عسكرية إلى جبل آثوس بهدف فرض هذا الاتحاد. وقد أدّت الأحداث المأساوية التي وقعت أثناء نضال رهبان آثوس، إلى شقّ عددٍ من رهبان كوتولوموسيُّو، وقد دُفِنوا خلف الكنيسة الرئيسية (الكاثوليكون).

الإمبراطور ميخائيل المشار إليه هنا هو على الأرجح ميخائيل الثامن باليولوجوس (١٢٥٩-١٢٨٢)، الذي سعى لتحقيق الوحدة مع روما لأسباب سياسية. هذا المقطع يُظهر شجاعة الرهبان في رفضهم التحلي عن الإيمان الأرثوذكسي، حتى الموت شتفاً. هذا يُظهر أن جبل آثوس

حرائق تُضعف دير كوتولوموسيو:

أعقبت فترة الازدهار الكبرى، مرحلة انحدار ساهمت فيها أيضًا الحريق الكبير الذي اندلع **سنة ١٤٩٧**. وفي **سنة ١٧٦٧**، اندلع حريق آخر دمر الجانب الشرقي من دير كوتولوموسيو. وكان لدعم **بطريك الإسكندرية متى الثالث** دور حاسم في ترميم الدير. وفي **منتصف القرن التاسع عشر**، وتحديدًا **سنة ١٨٥٦**، عاد دير كوتولوموسيو إلى نظام الحياة المشتركة (الكنوي)، بعد أن عاش **خمسة قرون** من النظام الإيديورشمي (الحياة الفردية المنظمة). وبعد ذلك بقليل، أي في **١٨٥٧ و ١٨٧٠**، اندلعت مجددًا حرائق شديدة أضرت بمباني الدير. وقد نجحت أعمال الترميم بفضل **الجهد المشرف للأرشمندريت ملاتيوس**.

دير كوتولوموسيو في الأزمنة الحديثة:

بعد الحرب العالمية الثانية، واجه الدير خطرًا جسيمًا بسبب نقص عدد الرهبان. وقد وضع هذا الأمر، إلى جانب فقدان جزء كبير من ممتلكاته، بقاء الدير نفسه في مهبط الخطر. وفي الوقت ذاته، شكّل الحريق الأخير **سنة ١٩٨٠** ضربة أخرى للدير، وقد أصلحت أضراره في السنوات الأخيرة.

مباني ومرافق دير كوتولوموسيو:

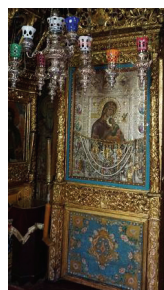
يرجع تاريخ الكاثوليكون في دير كوتولوموسيو إلى **سنة ١٥٤٠**، وهو يُعدّ نموذجًا كلاسيكيًا للعمارة الآتوسية، بينما أُعيد تلوين أيقوناته الجدارية الأصلية بأسلوب **المدرسة الكريتية**. أما **الفيالي** (حوض الماء المقدس) وبرج الأجراس فهما من أعمال **القرن التاسع عشر**. ويمتلك الدير **١٨ قَلِيَّة** (قلاي) والسكّيت الجميل للقديس بندليمون (**١٧٩٠**)، والذي يضم **٢٢** كوخًا. ويُعدّ حاجز الأيقونات الخشبي المحفور من قيمة فنية مميزة. يضم دير كوتولوموسيو **٧** كنائس صغيرة (باراكليسيات)، وعددًا مماثلاً من المصليات الخارجية. وفي **كنيسة الحماية المُربعة**، **توجد الأيقونة العجائبية للعدراء «ذات الحماية المُربعة»**، التي بقيت سليمة من الحرائق المدمرة، وحُفّت الدَّير من هجمات القراصنة.

مكتبة دير كوتولوموسيو وذخائره المقدسة:

في دير كوتولوموسيو تُحفظ أوانٍ كنسية، وألبسة طقسية مقدسة، وأيقونات محمولة هامة. كما تُحفظ ذخائر مقدسة للعديد من القديسين، مثل: **القديس جيراسيموس**، **القديس بندليمون**، **والدة الإله القديسة حنة**، **القديس غريغوريوس اللاهوتي**، **والقديس خارالامبوس**. تضم مكتبة الدير **٦٦٢** مخطوطًا، وحوالي **٣,٥٠٠** كتاب مطبوع.

(العدراء «ذات الحماية المُربعة» أو «الرهبية»)

توجد أيقونة **والدة الإله «ذات الحماية المُربعة»** في دير كوتولوموسيو في جبل آتوس. وهي موضوعة في الجهة اليسرى من رواق الكنيسة الرئيسية (الكاثوليكون)، داخل كنيسة صغيرة (باراكليسي) مكرّسة لاسم الحماية المُربعة، وقد تمّ بناء هذه الكنيسة الصغيرة **سنة ١٧٣٣ م**. تُصوّر الأيقونة **المقدّسة العذراء مريم** وهي تحمل على يدها اليسرى **الطفل يسوع المسيح**.



وقد شخّصَت العذراء بنظرها نحو المؤمنين، فيما كان المسيح يلتفت إلى الملاك الذي يحمل رموز الآلام. العذراء بدورها تُشخّص بنظرها (أو تتفرّس) مباشرة إلى المؤمن/الناظر إلى الأيقونة، وكأنها تقول: «انظروا ماذا ينتظر ابني من أجل خلاصكم».

عبارة «رموز الآلام» تشير تقليديًا إلى الصليب، الإكليل، الإسفنجة، الحرية... وغيرها من أدوات الآلام التي تُصوّر أحيانًا في يد الملاك في الأيقونات.

أعجوبة «الدير غير المنظور»:

إنّ أشهر أعجوبة مرتبطة بالعدراء ذات الحماية المُربعة هي **أعجوبة «الدير غير المنظور»**. فبحسب التقليد، عندما قام القراصنة في أحد الأوقات بمهاجمة دير كوتولوموسيو، وجد الرهبان أنفسهم مكشوفين وعاجزين عن الدفاع عن أنفسهم.

ثمّ لجأ الرهبان إلى **أيقونة العذراء**، وبورع عظيم صلّوا إلى **والدة الإله**، وتوسّلوا إليها أن تحميهم من القراصنة. ويُقال إنّ **والدة الإله** قد استجابت لصلواتهم، وجعلت الدير غير منظور في أعين المهاجمين.

لماذا دُعيت العذراء بلقب «ذات الحماية المُربعة»؟

إنّ هذه الأعجوبة جعلت القراصنة يرحلون عن «بُستان العذراء» دون أن يلحقوا أي ضرر بالدير. وقد رأى الجميع في ذلك تدخلًا إلهيًا وشفاعة مباشرة من والدة الإله. ولهذا السبب، دُعيت أيقونة العذراء باسم «ذات الحماية المُربعة».

أعجوبة الحريق في الميثوخي التابع للدير:

بحسب التقليد، كانت **الأيقونة العجائبية للعدراء ذات الحماية المُربعة** محفوظة في الأصل في ميثوخي تابع لدير كوتولوموسيو في جزيرة كريت. وذات يوم، اندلع حريق كبير دمر الميثوخي بالكامل. ومع ذلك، كان الشيء الوحيد الذي نجا من الدمار هو **أيقونة العذراء الدائمة البتولية**. كما يذكر الآباء وكثير من الحجاج، فمنذ اللحظة التي نُقلت فيها **الأيقونة المقدّسة للعدراء ذات الحماية المُربعة** إلى دير كوتولوموسيو، وهي تُجري عجائب كثيرة.

أعجوبة إنقاذ الدير من الحريق:

من بين العجائب الأخرى المنسوبة إلى **العدراء ذات الحماية المُربعة**، هناك أيضًا أعجوبة إنقاذ دير كوتولوموسيو من حريق اندلع في غابته. حينها، ركض الرهبان حاملين **أيقونة والدة الإله**، محاولين النجاة بأنفسهم. وبعد قليل، هطلت أمطارٌ غزيرة أطفأت الحريق، وأنقذت الدير والرهبان.

متى يُحتفل بتذكّر العذراء "ذات الحماية المُربعة"؟:

يُحتفل بتذكّر العذراء «ذات الحماية المُربعة» في **الثلاثاء من أسبوع التجديد**، أي في **اليوم الثاني بعد عيد الفصح المجيد**. وفي هذا اليوم، تُقام زياحة مهيبّة تُنقل فيها الأيقونة من الدير إلى كنيسة البروطاتون (في كارييس)، وذلك كردّ لزيارة العذراء «أكسيون إستين» التي تمّ الاحتفال بها في اليوم السابق داخل دير كوتولوموسيو.



أعجوبة رئيس الملائكة ميخائيل في خوني



بقلم: الأرشمندريت جيوارجيوس دورباراكيس

6 أيلول - تذكّر أعجوبة رئيس الملائكة ميخائيل في خوني (آسيا الصغرى)
تقلاً عن كاتدرائية القديسة برنارة - 5 أيلول 2020

المياه فيه، فمرت من الجهة الأخرى للهيكل. وهكذا فشلت مخططات الشيطان وأعوانه، وقوة الله عبر رئيس الملائكة جعلت المؤمنين يُجدون اسم الربّ ويزدادون ثباتاً في إيمانهم.

ومنذ ذلك الحين، تُعلن هذه الأعجوبة العظيمة في كلّ الأزمنة، وتحتفل بها الكنيسة في السادس من شهر أيلول شرقي. تبرز كنيستنا اليوم، بمناسبة أعجوبة القديس ميخائيل، أمرين رئيسيين:

أولاً، شهادتها حول رئيس الملائكة ميخائيل، وهي شهادة تُلمّح أيضاً إلى الملاك جبرائيل، بكونه أحد رؤساء القوات السماوية؛ وثانياً، تسييحها وتمجيدها للأعجوبة نفسها؛ فخدمة صلاة الغروب وصلاة السحر تدور فعلاً وتعود مراراً إلى المكانة الجليلة التي يحتلها رئيس الملائكة، سواء في علاقته بالله، أو بين سائر الملائكة، أو في ما يختص بالإنسان. ويستثمر المرتل الموهوب موهبته الشعرية ليصف رئيس الجند، بالإضافة إلى صفاته الأخرى، بصفاته الثلاث الكبرى: المُرْفِق (الله)، والمتقدّم (في الصفوف السماوية)، والحامي (للناس).

فهو مُرْفِق لله، للإله المثلث الشّعاع كما يقول، ويُضيء بأنوار الله، إذ يغني بفيض التحليات الإلهية، فيُصبح نوراً ثانياً بعد الله، ويعيش ملء محبة الله. لأنّ النور والمجد ونعمة الله تعني في جوهرها: محبة الله، كما يعيشها الذين يشتركون فيه. ومن هذه الزاوية، فإنّ رئيس الملائكة، لكونه قريباً جداً من الله، يحيا هذه المحبة، ويعبّر عنها بتمجيد دائم لله، و«بانفتاح» نحو سائر الملائكة والبشر.

يا لفرط الضلال عند أولئك الذين يربطون رئيس الجند بشيءٍ مرعبٍ وخيف، بينما مكانته العظيمة، في السماء وبين مجاهدي الكنيسة، إنما تعود في الحقيقة إلى محبته العظيمة.

فقط من جهة أعداء الإيمان، منكري الله - أي الشيطان وأتباعه - يُصبح هذا الرئيس السماوي مصدر رعب وتهديد فعلي. المرتل إلى ذلك بقوله: «إنّ مظهرك ناري»، فهو من جهة يُثير المؤمنين، ومن جهة أخرى يُحرّق الأعداء وغير المؤمنين. وكريس قائم أمام الله - كما يقول المرتل - هو، بإرادة الله، المتقدّم بين الملائكة، أي قائدهم، الذي يرشدهم في ما هو نفسه يُتممه: تمجيد الخالق، ومحبة الإنسان والعناية به.

وكم هي عظيمة فرحة الملائكة - كما يسجّل المرتل - لكونهم يملكون قائداً كهذا، يرشدهم بهذه الطريقة الفريدة. وبالطبع، فإنّ رئيس الملائكة، كما باقي القوات السماوية، يصير حامياً للناس. فحمايته

«خونيس» (Chonais) هو الاسم الذي أُطلق لاحقاً على بلدة كولوسي (Colossae)، وذلك بعد وقوع الأعجوبة العظيمة لرئيس الملائكة ميخائيل، حين حوّل مجرى النهرين ومنع الدمار عن الكنيسة. فالموضع ذاته كان يُعرف سابقاً باسم كولوسي، ثم دُعي خونيس أو خوني وتعني «الشق» أو «الانشقاق»، نسبةً إلى الشق الصخري الذي فتحه الملاك ميخائيل لتحويل المياه فيه.

بشّر القديس يوحنا اللاهوتي في هيرابوليس بمنطقة فريجية، إلى جانب أماكن أخرى، وقد تنبأ هناك بأنّ تلك المنطقة ستنال بركة ماء مقدّس يرتبط برئيس الملائكة ميخائيل. وحدث فعلاً أنّه في كولوسي، بالقرب من هيرابوليس، نَبَعَ ماءٌ مُقدّسٌ، كان يُقصدُه الناسُ يومياً بكثرة، وكانوا يجِدُون فيه الشفاء من كلّ مَرَضٍ وَحَاجَةٍ.

وذات مرة، رأى أحد الوثنيين الأثرياء، والذي كانت ابنته تعاني من الخرس والصمم، حُلماً يُعلن له فيه أنّه إن لم يأخذ ابنته إلى ذلك الماء المقدّس، فإنّها لن تُشفى أبداً. فذهب، وعندما غسلت ابنته بالماء، شُفيت على الفور.

أمام هذه الأعجوبة العظيمة، آمن الرجل مع كامل أفراد عائلته، واعتمدوا جميعاً، وصاروا مسيحيين غيورين. ومن امتنانه، قدّم المال اللازم لبناء هيكل فخم على اسم رئيس الجند ميخائيل، وصار الناس يقصدونه بأعداد أكبر. وبعد نحو قرنٍ من الزمان، امتلأ شاب يُدعى أرخبّيوس برغبة شديدة، بدافع محبته لرئيس الملائكة، أن يذهب ليعخدم في الهيكل بصفة شماسٍ أو خادم، وكان هو نفسه يشهد يومياً على العجائب التي كانت تتمّ هناك.

غير أنّ الشيطان لم يحتمل هذا، وأراد، من خلال مفاعيله الشيطانية، أن يُدمّر الهيكل والماء المقدّس. فحرّض الوثنيين القاطنين في المنطقة، لكي يوحّدوا النهرين اللذين كانا يمران من هناك، ويجوّلوا مجراهما نحو الهيكل.

فبدأوا هذه الأعمال الشيطانية، ورأهم أرخبّيوس وفهم مقصدهم، فصار يُصلّي بدموع، متضرّعاً إلى الله وإلى رئيس الملائكة أن يتدخلوا كي لا يتمّ تنفيذ هذه المخططات النجسة للوثنيين.

وفعلاً: عندما اندفعت المياه بقوة عارمة، على نحوٍ كان كفيلاً بأن يُدمّر الهيكل فوراً، رأى أرخبّيوس رئيس الملائكة يضرب بعصا المكان الذي أمام الكنيسة، فانشقّت الأرض وانفتح صدعٌ عميق، ابتلعت

للإنسان هي تعبير عن محبته، وتظهر أيضًا في أعماق النفس البشرية، بمعنى أنه يحرس الإنسان من هجمات الشرير: «حيثما تظلل نعمتك، أيها رئيس الملائكة، هناك تُطرد قوة الشيطان».

كما أنه يحفظه من هجمات أهوائه الشخصية، ومن الأخطار الجسدية، ومن الأمراض التي قد يمر بها. فكل من يدعو القديس ميخائيل بإيمان، سينال بركة تدخله الشافي - وحتى في ساعة الموت.

يشير المرتل، كما سبق أن قلنا، أيضًا إلى الأعجوبة من خلال تسبيح وتمجيد لاهوتي. فهو يُبرز الأعجوبة كفعل من أفعال نعمة الله، يتم من خلال حضور رئيس الملائكة، ويستغل ذلك ليربط رئيس الملائكة بشخصيات مقدسة ومجيدة من العهد القديم، مثل نوح، وموسى، ويشوع بن نون.

مع نوح، لأن هذا الأخير بنى الفلك بأمر من الله، كي ينحو الناس والحيوانات من طوفان المياه؛ وكذلك رئيس الملائكة، لكي يخلص الهيكل والمؤمنين من طوفان مياه النهرين، «صَنَعَ» فتحة في الأرض لابتلاع المياه.

مع موسى، لأن بني إسرائيل نالوا الخلاص من الغرق بعبورهم البحر الأحمر، وموسى ضرب الصخرة في حوريب بعصاه، فخرج منها ماء ليسيقي اليهود في البرية. في الحدثين كليهما نجد الماء والخلاص. وبغض النظر، نرى في أعجوبة رئيس الملائكة هذا التلاقي بين الماء والخلاص أيضًا.

ومع يشوع بن نون، يربطه المرتل لأن يشوع في زمانه رأى رئيس الملائكة حاملاً سيفاً نارياً، يقود الشعب. وهكذا في هذه الأعجوبة أيضًا: عصا رئيس الجند صارت كالسيف، شقت الأرض وخلصت شعب الله الجديد - المسيحيين.

يقف الإنسان مدهوشاً أمام العجائب التي يصنعها الرب من خلال قديسيه، سواء كانوا ملائكة أو بشرًا. والعيد يمنحنا الفرصة للتأمل وإبداء ملاحظات أنثروبولوجية (علم يدرس الإنسان ثقافيًا واجتماعيًا وبيولوجيًا عبر الزمان والمكان) واجتماعية أوسع. فتُظهر الأعجوبة أن كرامة الإنسان لا تقوم على قوته، بل على تجاوبه مع نعمة الله. فحين يجاهد الإنسان ليبقى أمينًا، ترافقه القوات السماوية وتحفظ له الإيمان. إنه الكائن الوحيد الذي خلق على صورة الله، ولهذا لا يُترك وحيداً في معاركه.

فأولاً، يتمنى المرتل، كما أنقذ رئيس الملائكة الكنيسة آنذاك من طوفان المياه، أن يتدخل الآن أيضًا لينقذنا نحن من طوفان أفكارنا وخوابطنا. إن الشاعر يعيش حياة روحية عميقة وعنيفة، ويدرك تمامًا أن كثيرين من المسيحيين يعانون من «اللوجيسمي» (1) - تلك الأفكار التي تأتي غالبًا بشكل لا يمكن السيطرة عليه، وبأسلوب خطر، مما يجعلنا غير قادرين على جمع عقولنا وتوجيهها نحو الله. وهنا أيضًا، يستطيع رئيس الملائكة أن يتدخل.

وكذلك، في ظل الأزمة الاقتصادية العالمية - التي تم التأكيد مرارًا على أنها بالأحرى أزمة روحية عالمية - والتي نعيش آثارها القاسية نحن أيضًا في وطننا وفي العالم، يستطيع رئيس الملائكة أن يتدخل ويمنح خلاصًا وسندًا، كوننا نواجه يومًا بعد يوم سيلاً من الأخبار المقلقة

والمخيفة، التي تُخبرنا بأن الأسوأ قادم. كأن كل نتائج الأزمة ستنقض علينا كالسيل، أو كـ «تسونامي» جارف، فيفقد كثيرون السيطرة، ويقعون في الذعر، بل وحتى الانهيار. لكن ذكرى رئيس الملائكة تأتينا اليوم لتذكّرنا بتدخله العجائبي:

أمام كل طوفان، وأمام كل تهديد مروع، يستطيع رئيس الملائكة أن يتصدى له بقوة الله، ويمنع انهيار الإنسان، ويعضده، ويُفعمه بالرجاء والمعونة والثبات. وبأن «يبتلع» هذا التسونامي، كما ابتلع كل تهديد. هناك أمر واحد فقط ضروري ليفعل رئيس الجند ذلك:

أن يؤمن الإنسان، وأن يصرخ إليه بجرأة ورغبة صادقة، كما في ترتيلة الأُبستِيخَن في هذه الإستيشيرة البروصومية على اللحن الأول:

إذ كنت زعيم رؤساء الطغمان السماوية ومحامياً وحارساً ومنقذاً قوياً للناس الذين على الأرض. نمتدحك عن إيمان يا رئيس قواد الجنود ميخائيل. مبتهلين إليك أن تُنجينا من كل الأوجاع المُهلكة.

هذا ما نقوله لنا خبرة الكنيسة، وهذا ما وعد به المسيح إلهنا له المجد إلى الأبد، آمين.

(1) كلمة «اللوجيسمي» (من اليونانية: logismoι-λογισμοί) هي من أكثر المفردات الروحية استعمالاً في أدبيات الآباء السناك والآباء الروحيين في الكنيسة الأرثوذكسية. تعني حرفياً: الأفكار أو الخواطر العقلية. لكن في السياق الروحي، الكلمة أعمق من مجرد «أفكار». فهي تشير إلى أفكار داخلية تحمل دافعاً أو إغراءً، غالباً ما تكون من الشيطان، تهدف إلى زعزعة سلام الإنسان الروحي. قد تكون هذه الأفكار:

- أفكار نجاسة
 - أفكار كبرياء
 - أفكار دينونة الآخرين
 - شكوك في الله أو الآخرين
 - يأس، غضب، حسد، خوف، تشتيت... الخ
- بحسب تعليم الآباء القديسين، تمرّ هذه الأفكار بمراحل:

1. الاقتراب: الفكرة تطرق باب الذهن.
2. التناحر: الدخول في حديث معها.
3. الموافقة: قبولها عقلياً أو قلبياً.
4. السقوط: إذا قادت إلى فعل أو خطيئة.

من أقوال الآباء: «اللوجيسمي مثل الطيور، لا يمكنك منعها من الطيران فوق رأسك، لكن يمكنك أن تمنعها من أن تبني عشاً على رأسك». - القديس بايسسيوس الآثوسي. «اللوجيسمي هو بداية كل حرب روحية... إذا سكتها، ستحيّا». - القديس يوحنا السلمي.

وسائل مواجهة اللوجيسمي: -

- التمييز الروحي: التفرقة بين الأفكار من الله، من الذات، أو من الشيطان.
- الصلاة الدائمة: «يا رب يسوع المسيح، ارحمني انا الخاطيء».
- الاعتراف: كشف الأفكار أمام الأب الروحي.
- الهدوء الداخلي والانتباه الذهني (نيتيكي زواي) (Νηπτικὴ ζωή).
- زواي = ζωή تعني «الحياة».
- نيتيكي زواي = تعني «السهر الروحي» أو «الحياة المتيقظة».

الجزء الخامس - تنمة

وَفِي فَجْرِ الْيَوْمِ التَّالِي، كَتَبَ الرَّسَالَةَ التَّالِيَةَ:

إيچينا في ٧ آب ١٩١٣.

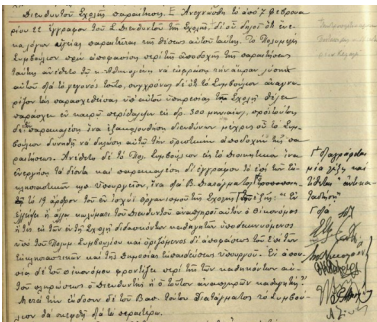
إلى قداسته، ثيوكلطس متروبوليت أثينا ورئيس
المجمع المقدس.

صاحب السيادة،

لقد كنتُ أفضل ألا أهدر وقتكم بكلامي عن ديرنا
لعلمي بمقدار انشغالكم، إلا أنني أجد نفسي مضطراً
لذلك لحاجة ملحة.



القديس نكتاريوس العجائبي



فإنّ دير إيچينا الذي تأسس ببركتكم، هو اليوم في
وضع خطير ومُلِحّ: إذ يلزمنا دعمكم المعنوي، لكي
يعترف القانون بشخصيته المعنوية، وأن تُقبل أنظمتُه
الداخلية، ويُصبح بإمكانه تلقي الهبات، والقيام
بمعاملات الشراء والبيع، ويكتسب صفة الملكية.

والحقيقة أنّ الممثل الشرعي لحكومة أثينا في إيچينا،
السيد ليكوديس، قد أعلمني أن جميع العقود المُبرمة
والمشتريات التي أتمت حتى اليوم هي دون قيمة بالنسبة إلى الدير، لأنّ
جماعتنا لا تقتني الشخصية المعنوية، وباستطاعة البائعين أن يستعيدوا
أموالهم بسهولة ودون عناء. وهكذا، وللاحتفاظ بالدير للراهبات،
فقد جعلتُ منه ملكاً خاصاً بي. ولكن قيل لي إنّ أخي وأبناءه سوف
يرثونه بعد وفاتي، وسيكون لهم الحقّ بالمطالبة بالأموال المنقولة وغير
المنقولة. وعندما علمتِ الراهبات بكلّ ذلك، أصابهنّ اليأس لما
سيكون عليه مستقبل الجماعة.

وأنا لم أقم بأيّ عمل حتى الآن لكي أحصل على موافقة الحكومة
بالنسبة إلى الدير، لأنّ قداستكم قد أخبرتموني - وأنتم حتماً تذكرون
ذلك - بأنّ موافقتكم كافية.

ولكنني علمتُ منذ مدّة قصيرة، بأنّ قداستكم لا تعترف بالدير. وقد
تكون هذه الإشاعة صحيحة أو مغلوطة، إلا أنّها انتشرت، وقد
جلبت الأذى للدير وما زالت حتى الآن.

لقد قدّم السيد ميلونوبولوس لابنة أخيه، وهي في الوقت نفسه ابنته
بالتبني، بيتاً تفوق قيمته ثلاثين ألف دراهم، على سبيل الجهاز، لأنّها
تريد أن تصبح راهبة. إلا أنّه فرض عليها أن تكتفي بتقاضي الإيجار
خلال حياتها، على أن تعود ملكية البيت إلى ميتم البيرييه بعد موتها،
لأنّ الدير لا يستطيع أن يقبل شيئاً بموجب وصيّة، لافتقاده إلى
الوجود القانوني. وقد تكرّرت هذه الحالة نفسها عندما رغب أحدهم
بأن يهب لنا بيتاً آخر عن طريق الإرث.

وإلى ذلك، فإنّ الدير يوشك على فقدان
مبنى ثالث أوصت به سيّدة للدير بعد أن قدّم
لها المساعدة الروحية.

ومن جهةٍ أخرى، فإنّ السيّدة مارينا كرايوتو
قد أودعت في المصرف الوطني ألفي دراهم
لصالح الدير، إلا أنّنا نواجه خطر فقدان المبلغ
لعدم استطاعتنا إرسال شخصٍ موثّقٍ يحمل
ختم الدير. ولقد أصابنا العجب الشديد عندما
علّمنا بما يطلبه المصرف. وهكذا، ولإعطاء
المصرف ومحمي السيّدة الواهبة مستنداً رسمياً،
قمنا بتوقيع وثيقةٍ عند كاتب العدل، يُوثّق
بموجبها الدير الراهبة أناستاسيا. ولكن المحامي
أصرّ على وضع ختم الدير. وقد فكّرتُ بالتزوّد
بوكالة عند كاتب العدل، بصفتي المالك. ولكنني
أعجز من جديد عن إثبات كوني مؤسس الدير
لكي أقيم مقام رئيس الدير. وهكذا، فقد بقيت
هذه القضية معلّقة ودون حلّ.

ومن جهةٍ أخرى، فعندنا ثلاث راهبات - واحدة من أثينا تملك
قطعة أرض في فاليرا، واثنان من البيرييه تملكان بيتين في هذه المنطقة
- ونحن نريد أن نبيع هذه العقارات ونودع المال في المصرف الوطني
باسم الدير. ولكن ما دامت الكنيسة لا تعترف رسمياً بالدير، فهو لا
يملك الشخصية القانونية، ونحن نعجز عن التصرف.

فنحن لا نعرف ما العمل.

وقد دفعني جميع هذه الأسباب إلى الطلب من وزارة التربية والشؤون
الإكليريكية الاعتراف بالدير وختمه. ولم أكلّم قداستكم بالأمر لئلا
أسبّب لها الانزعاج، وقد فكّرتُ بأنّ الأفضل هو أن تطلب الوزارة من
قداستكم الموافقة، لا أن تدعم قداستكم هذا الطلب، لأنّ هذا كان
ليُزعج قداستكم برأيي.

هاكم الآن إذن المأزق الذي نحن فيه: فإمّا أن يحصل الدير على
اعتراف الكنيسة والحكومة على أنّه دير عاديّ يتبع لأبرشية أثينا،
ويعمل بحسب القوانين الكنسية الرهبانية، وإمّا أن يُغيّر اسمه وشخصيته،
فتعترف به الحكومة كمؤسسة ثقافية جميع موظّفاتِها راهبات، على غرار
ما يحدث في الكنيسة الغربية.

إنّ حلّ هذا المأزق متعلّق بورع قداستكم ومحبتّها.

وتقبّلوا مني كلّ احترام،

إلى أخ قداستكم الحقيق في المسيح،

أسقف المدن الخمس.

تفسير رسالة القديس بولس الرسول الأولى

إلى أهل كورنثوس (43) القديس يوحنا الذهبي الفم

د. سعيد حكيم يعقوب



الإصحاح الخامس:

العظة الخامسة عشرة: (١ كو ٥: ٧-٨)

٦ هل هناك ما هو أكثر ثَقْيً وطهارةً وطوبى وغنىً من هذا الصوت؟ البعض يفتخر بما هو عكس ذلك، قائلين: «إنَّ لدينا كميات كبيرة من الأموال والذهب، ومساحات شاسعة من الأراضي، وبيوتًا وعبيدًا»، أما القديس بطرس فكان يفتخر بأنَّه لا يملك شيئًا، ولم يستح من فقره، بل كان يفتخر به. لكن الحمقى يعانون بسبب فقرهم! فأين هم الأغنياء الآن؟ أولئك الذين يجمعون ويحصدون أرباحهم وفوائد أرباحهم، ويستحذون على ممتلكات الجميع، ومع هذا لا يشبعون أبدًا؟ اسمعوا صوت القديس بطرس الذي يبرهن على أنَّ الفقر هو مصدر الغنى. فقد كان لا يملك شيئًا، ومع ذلك كان أغنى من أولئك الذين يرتدون التيجان! ذاك الذي لا يملك شيئًا، أقام موتى، وشفى مقعدين، وطرد شياطين، وصنع كلَّ هذه الإحسانات، والتي لم يستطع أيُّ من أولئك الذين يرتدون الثياب الفاخرة، أو يقودون جيوشًا عملاقة ومرعبة، أن يفعلها. هذا هو صوت أولئك الذين يقيمون بالفعل في السماء، الممتلئين بالنعمة. فقد يبدو على شخص ما أنَّه لا يملك شيئًا، لكنَّه في الحقيقة يملك كلَّ شيء. لذلك، لو أننا وجهنا اهتمامنا نحو ربح كلَّ شيء، فمن المؤكَّد أننا سنخسر ونُحرَم من كلَّ شيء. قد يبدو ما قلته لُغْزًا، لكنَّه ليس كذلك.

وقد يقول البعض: كيف يحدث أن ذاك الذي لا يملك شيئًا، يملك كلَّ شيء؟ هل من يملك أكثر، هو الذي يسود على كلَّ شيء ويحكم في كلَّ شيء؟ لا، على الإطلاق، بل العكس تمامًا هو الصحيح. فمن لا يملك شيئًا، هو الذي يسود على كلَّ شيء، كما فعل الرسل، لأنَّ كلَّ بيوت المسكونة كانت مفتوحة لهم، وأولئك الذين منحوهم الضيافة، كانوا مديونين لهم بالامتنان، وأتوا إليهم كما يُقبل الناس على أصدقائهم وأقربائهم. وفي الحقيقة، فقد أتوا إلى بائعة الأرحوان، وقدمت لهم كلَّ ما تملك كخداة لهم، وأتوا إلى حارس السجن ففتح لهم بيته،

وأتوا إلى أعداد لا تُحصى من البشر، وهكذا امتلكوا كلَّ شيء، مع أنَّهم لم يكونوا يملكون شيئًا، لأنَّه لم يكن أحد يقول إنَّ شيئًا ممَّا يملكه هو له، لذلك فإنَّ كلَّ شيء كان ملكًا لهم. أي أنَّ الذي يعتبر أنَّ الممتلكات مشتركة بين الجميع، سيستخدم ليس فقط ممتلكاته، بل وما ليس في حوزته كأنَّه له، أمَّا الذي يمنح من ممتلكاته، ويجعل من نفسه سيّدًا على ما يملك فقط، فلن يسود، ولا حتى على هذه الممتلكات. وهذا يتّضح من المثال التالي: إنَّ الذي لا يملك شيئًا على الإطلاق - لا بيتًا، ولا مالا، ولا ثوبًا آخر - بل حُرَم من كلَّ شيء لأجل خدمة الله، فإنَّه يستخدم الأشياء التي ليست له كأنَّها له، وسينال ما يريد من الجميع. وهكذا، فإنَّ من لا يملك شيئًا، يملك كلَّ شيء، أمَّا الذي يملك القليل، فلن يكون سيّدًا حتى على هذا القليل، لأنَّه لا أحد يعطي لمن يملك، وبالأكثر، فإنَّ ما يملكه سيؤول إلى اللصوص والسارقين والنامين، وستكون المتغيّرات لصالح الآخرين، لا لصالحه.

وكما هو معروف، فإنَّ الرسول بولس جاب أرجاء المسكونة، دون أن يكون معه شيء، ورغم أنَّه لم يذهب إلى أصدقاء أو معارف، بل كان في البداية عدوًّا مشتركًا للجميع، إلَّا أنَّه عندما كان يأتي إلى بيت ما، كان كلَّ شيء فيه يُعدُّ مُلْكًا له. ولذلك، فإنَّ حنانيا وسفيرة، عندما قرّرا أن يحتفظا بجزء من ثروتهما، فقدتا كلَّ شيء، بل فقدتا حياتهما أيضًا.

إذاً فلنتجرّد من ممتلكاتنا، لكي نستخدم ما ليس لنا كأنَّه لنا. لكن لا أعرف كيف جذبني الحديث إلى كلِّ هذا، فأنا أتحدث إلى أناس يرغبون في أن يقدموا شيئًا ممَّا لهم، ولذلك ينبغي أن نقول هذا الكلام للكاملين ولغير الكاملين: أعطوا لكلِّ من له احتياج، وحين تفعلون ذلك، تزداد ثروتكم، لأنَّ الكتاب يقول: «مَنْ يَرْحَمُ الْفَقِيرَ يُقْرِضُ الرَّبَّ» (أمثال ١٩: ١٧). ومن ناحية أخرى، إن تعجّلت ولم تُرد أن تنتظر وقت المجازاة، فتدكر كلَّ من أقرض مالا للناس، فأولئك لا يريدون أن يأخذوا الفوائد على الفور، بل يرغبون أن تبقى أموالهم لمُدَّة أطول في أيدي المقترضين، بشرط واحد فقط: أن تكون عودة المال مضمونة، وإلَّا، فإنَّ الشخص المقترض يكون موضع شك.

مكافأة عن كل شيء، كي لا نُقلل من قيمة المكافأة، ولننتظر الوقت المناسب، لأن هذه الأرباح ليست بشرية، بل هي أرباح تفوق بكثير هذا النوع من الفوائد الأرضية، ومصدرها بكل تأكيد، هو الله.

فلندحر لأنفسنا هذه الأرباح الوفيرة، وعندما نتحرر من قيود هذا العالم الحاضر، ننال خيرات الحياة الحاضرة، وخيرات الدهر الآتي أيضاً، بالنعمة ومحبة البشر الفاتكة، لربنا يسوع المسيح، الذي يليق به، مع الأب والروح القدس، المجد والقوة والكرامة، الآن وكل أوان، وإلى دهر الدهور. آمين.

إذاً، هذا ما يجب أن يحدث هنا: أعط من مالك الله، لكي يعود عليك بأضعاف مضاعفة من الأجر أو المجازاة. لا تطلب كل شيء هنا، في الحياة الحاضرة، لأنك لن تنال كل المكافأة في هذه الحياة، فهذا سيقلل من مكافأتك في الحياة الأبدية، ولذلك، فإن الله يدخر لك مكافأتك في الحياة الأبدية، لأن الحياة الحاضرة، في الحقيقة، حياة مؤقتة، لا تصلح لاحتواء مكافآت. ومع ذلك، فإنه يعطي هنا أيضاً، لأن المسيح له المجد يقول: «اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره، وهذه كلها تُزاد لكم» (متى ٦: ٣٣). فلنتطلع إلى ملكوت الله، ولا نستعجل الحصول على

الرحمة: قلب الفضيلة – من كتاب: الذهبي الفم من على المنبر – الجزء الرابع

القرض العجيب:

تقول الأسفار المقدسة: «مَنْ يَرْحَمُ الْفَقِيرَ يُفْرِضُ الرَّبُّ» (أمثال ١٩: ١٧). أَتَرَوْنَ مَدَى غَرَابَةِ هَذَا الْقَرْضِ وَعَجَبِهِ؟ إِنَّ شَخْصًا مَا هُوَ الَّذِي يَأْخُذُ، وَلَكِنْ شَخْصًا آخَرَ هُوَ الْمَسْئُولُ عَنْ سَدَادِهِ! وَلَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ، بَلْ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَقَعَ أَيُّ ظَلَمٍ، وَلَا أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الْخَسَارَةِ. وَأَيْضًا، عَلَى عَكْسِ مَا يَحْدُثُ فِي الْعَالَمِ، لَا يَعْدُ هُنَا بَرْدٌ عَشْرَةَ بِالْمِئَةِ فَقَطْ، بَلْ بِمِائَةِ ضِعْفٍ مِمَّا أُعْطِيَ؛ وَلَا يَتَوَقَّفُ عِنْدَ هَذَا، بَلْ يَعْدُ بِالْعَطَاءِ فِي هَذَا الدَّهْرِ، وَفِي الدَّهْرِ الْآتِي أَيْضًا، أَيُّ بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ. وَفِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الْحَاضِرَةِ يَعْدُ أَنْ يُعْطِيَ بِسُهُولَةٍ أَضْعَافًا، لَا بِمَشَقَّةٍ.

فَإِذَا كَانَ الْمُدِينُ لَا يَمْلِكُ النِّيَّةَ الطَّيِّبَةَ لِيَرُدَّ، أَوْ إِنْ كَانَتْ هُنَاكَ صُعُوبَةٌ نَاتِجَةً عَنِ الْوَضْعِ الْمَالِيِّ كُلِّهِ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ (خُصُوصًا حِينَ تَسُوذُ قِلَّةُ الْإِمْتِنَانِ وَتَفَاقُمُ الْمُبَالَغَةِ مِنْ قِبَلِ الْمُسْتَعْلِينَ)، فَإِنَّ كَثِيرِينَ مِنْ أَقْرَبِ الْأَقْرَبَاءِ أَنْفُسَهُمْ (فِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ) لَمْ يُرْجِعُوا مَا اسْتَدَانُوهُ. وَقَدْ اخْتَمَلَ بَعْضُ الدَّائِنِينَ ذَلِكَ بِسَبَبِ جُحُودِ الْآخَرِينَ، أَوْ بِسَبَبِ الْفَقْرِ الَّذِي أَعَاقَ أَوْلِيكَ عَنْ رَدِّ الدِّينِ.

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلرَّبِّ، رَبِّ الْكُلِّ، فَلَا يُمَكِّنُ أَبَدًا أَنْ يُظَنَّ أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْأَمْرِ (الظُّلْمِ أَوْ الْخَسَارَةِ) قَدْ يَحْدُثُ؛ بَلْ إِنَّ الْقَرْضَ يَبْقَى مُحْفُوظًا تَمَامًا، وَهُوَ يَعْدُ بِمِائَةِ ضِعْفٍ لِمَا يُقَدَّمُ، وَفَوْقَ ذَلِكَ يَعْدُ فِي الدَّهْرِ الْآتِي بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ. فَمَا هُوَ الْعُدْرُ الَّذِي يَبْقَى لَنَا، نَحْنُ الَّذِينَ لَا نُسَارِعُ وَلَا نَتَحَمَّسُ لِنَنَالَ مُقَابِلَ الْقَلِيلِ مِائَةَ ضِعْفٍ؟ وَلِنُبْدِلَ الْحَاضِرَ بِمَا هُوَ آتٍ؟ وَلِنَقْبِضَ الرِّائِلَ بِمَا هُوَ أَبَدِيٌّ؟ لَكِنَّا، بِكُلِّ ارْتِيَاحٍ، نُفْقِلُ عَلَى أَمْوَالِنَا بِالْأَبْوَابِ وَالْمَزَالِجِ، وَلَا نُرِيدُ الْآنَ أَنْ نُفْرِضَ أَوْلِيكَ الَّذِينَ هُمْ بِحَاجَةٍ إِلَيْهَا (الْأَمْوَالُ الْمُخَزَّنَةُ بِلا أَيِّ هَدَفٍ)، لَكِنِّي نَنَالَ (فِي الْحَيَاةِ الْمُقْبِلَةِ) حِفْظًا وَكَنْزًا أَبَدِيًّا بِفَضْلِهَا.

(ΕΠΕ 2 PG 39 : 72-74)

(القدس يوحنا الذهبي الفم – سفر التكوين، الإصحاح ٣)
الباترولوجيا اليونانية، مجموعة الآباء اليونان.

الرحمة قادرة أن تمحو الخطايا:

هَذِهِ الْفَضِيلَةُ، قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، تَسْتَطِيعُ أَنْ تَمْحُو كُلَّ خَطَايَانَا، وَتُخْرِجَنَا مِنْ جَهَنَّمَ النَّارِ؛ وَلَكِنْ عَلَى شَرْطٍ أَنْ نُمَارِسَهَا بِوَفْرَةٍ، لَا لِنَسْتَعْرِضَ أَمَامَ النَّاسِ. وَلَمْ أَقُولْ: لَا نَفْعُهَا مِنْ أَجْلِ الْإِسْتِعْرَاضِ؟ إِذْ لَوْ كُنَّا مُتَمَتِّينَ حَقًّا، لَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ نُظْهِرَهَا لِأَجْلِ الْخَيْرِ نَفْسِهِ، وَمَحَبَّتِنَا نَحْوَ إِخْوَتِنَا فِي الْبَشَرِيَّةِ، لَا مِنْ أَجْلِ الْأَجْرِ الَّذِي وَعَدَ بِهِ الرَّبُّ. وَلَكِنْ، إِذْ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَصَوَّرَ شَيْئًا أَشْمَى، فَلْنَقِمْ بِهَا (وَلَوْ لِهَذَا السَّبَبِ) شَرِيطَةً أَلَّا نَطْلُبَ مِنْهَا الْمَجْدَ الْبَشَرِيَّ، لِئَلَّا نَحْتَمِلَ الثَّقَلَةَ وَنَقْصِدَ الْأَجْرَ مَعًا..

(ΕΠΕ 74-72 : 42, 7; PG 39, 53)

(القدس يوحنا الذهبي الفم – سفر التكوين، الإصحاح ٨)
الباترولوجيا اليونانية، مجموعة الآباء اليونان.

وزع الفائض على الفقراء:

أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تُوزِعَ كُلَّ مُمْتَلَكَاتِكَ؟ تَمَتَّعْ بِكُلِّ رَاحَةٍ، وَمَتَّى أَشْبَعْتَ حَاجَتَكَ، فَخُذْ مَا فَاضَ عَنْكَ وَمَا لَمْ تَعُدْ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ، وَاجْعَلْهُ نَافِعًا، وَوَرِّعْهُ عَلَى أَوْلِيكَ الَّذِينَ يَضْغَطُهُمُ الْجُوعُ وَيَرْجَحِفُونَ مِنَ الْبَرْدِ؛ وَهَذِهِ الْأَيْدِي نَفْسُهَا تُرْسِلُ تِلْكَ الْأَمْوَالِ إِلَى وَطَنِكَ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي سَتَذْهَبُ إِلَيْهِ بَعْدَ قَلِيلٍ. أَوْلِيكَ، بِالتَّأَكُّدِ، سَيَكُونُونَ نَافِعِينَ لَكَ خُصُوصًا عِنْدَ انْتِقَالِكَ إِلَى هُنَاكَ؛ وَعِنْدَمَا تَبْلُغَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ، سَتَجِدُ كُلَّ شَيْءٍ مُعَدًّا لَكَ، وَسَتَكُونُ لَدُنْكَ هُنَاكَ أَعْظَمُ مِنْ أَيِّ تَرَاءٍ هُنَا، لِأَنَّ تِلْكَ الْأَمْوَالِ قَدْ تَضَاعَفَتْ عَلَى أَيْدِي الَّذِينَ نَقَلُوهَا، أَوْ (بِشَكْلِ أَفْضَلٍ) قَدْ تَضَاعَفَتْ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ.

هَلْ يَتَطَلَّبُ هَذَا الْأَمْرُ مِنْكَ ثَمَنًا؟ أَلَيْكَ حَاجَةٌ إِلَى عَنَاءٍ أَوْ اهْتِمَامٍ؟ لَا تَحْتَاجُ إِلَى دَوَابٍ لِلنَّقْلِ، وَلَا إِلَى حَارِسٍ، وَلَا إِلَى أَيِّ شَخْصٍ مُشَابِهِ. فَذَلِكَ الطَّرِيقُ لَا يَسْلُكُهُ لَصٌّ وَلَا سَارِقٌ لِيَخْتَطِفَ مَا تُرْسِلُهُ. بَلْ تِلْكَ الَّتِي تَضَعُهَا فِي أَيْدِي الْفُقَرَاءِ، تُودِعُهَا فِي خَزِينَةٍ أَمْنَةٍ (أَعْنِي: فِي يَدِ اللَّهِ). وَهَذِهِ يَحْفَظُهَا كَامِلَةً، وَعِنْدَمَا تَعُودُ إِلَى وَطَنِكَ، يَرُدُّ إِلَيْكَ مَا أَوْدَعْتَهُ، وَيُكْرِمُكَ بِإِعْلَانٍ، وَيُتَوَجَّحُكَ، وَيَقِيمُكَ هُنَاكَ بِكُلِّ سُرُورٍ وَرَاحَةٍ.

توزع هذه المجلة مجاناً

لدعم نشاطات الجمعية تقبل التبرعات مشكورة
في بنك العمال فرع الناصرة، حساب رقم:

IBAN: IL480127260000000111122

كفر كنا - الشارع الرئيسي - ص. ب. ٦١٩

e-mail: light_christ@yahoo.com

http://lightchrist.org/bulletins.html

جمعية نور المسيح

المعزز المسؤول:

هشام خشيون - سكرتير جمعية نور المسيح